أولا : أبحـــاث ودراســـات لغـــويـــة

1 ــ بين الترادف والتوارد	للاستاذ عبد العزيز بنعبد الله	5
2 ــ المصطلحية (علم المصطلحات)	للدكتور عـــلى القاسمى	7
3 ــ ازدواجيـــة اللغـــة	للدكتور محمد راجى الزغلول	21
4 ــ التحول الداخلى فى الصيغة الصرفية	الدكتـــور مصطفى النحاس	39
5 ــ الفارابى اللغوى (5)	الدكتور أحمد مختار عمر	51

بين الترادف والتوارد (*)

الاستاذ عبدالعزيز بنعبدالله
عضو أكاديمية المملكة المغربية

إن المفهوم التلقائي لأية كلمة، ينبثق من محتوى هذه الكلمة نفسها دون اعتبار محيطها ككلمة أمس الدالة على اليوم الذي قبل يومك وكلمة البارحة التي تعبر عن أقرب ليلة مضت. غير أن الكلمات والأشياء قد تلتبس فيها أحيانـاً بعض المفاهيم فنخلـط على مستوى الألفاظ بين مدركين معنويين (مثل الخـوف والرهبة) فنتحـدث آنذاك عن الترادف وهو الاشتراك في المعنى) (synonyme) أو بـين أشياء كالسيـارة والشاحنة فيتعلق الأمر آنذاك بالتوارد أي تـوارد الأفكار والخواطر حول مفهومين متقاربين (analogie). ففي خصوص الترادف قد لا نجد لفظين يوصفان بأنهما مترادفان يؤديان نفـس المعنى دون أن يكون هـذا الترادف جزئيا فقط، فكلمة أسد تعبر عن النوع في حين أن كلمة (ضرغام) مثلا تبرز معنى زائدًا لدى الأسد وهو الشدة وكذلك لفظة (هزبر) التي ينطوي مبناها علـى مفهوم إضافي في مادة (هـزبرة) وهو الغلظ والضخامة، فهي صفات أو نوع من الشيات (nuances) أي اختلافات دقيقة بين أشياء تنتمي لنفس الفصيلة : وهذه الشيات أشبه ما تكون بالدرج التي يمر منهـا اللون في سلّم الفروق والتباين ، فالشاعر العربي إذا عبّر في الجاهلية بكلمة خاصة عن مفهوم ، فإن هذا المفهوم لا يكون اعتباطيا بل ينطبق على مستوى خاص من المستويات التي تتدرج فيها المتـرادفات. على أن إدراك دقة اللفظ العربي في مفهومه الأصيل أصبـح صعب المنال، إن لم نقل مستحيلاً، لاسيما اذا اعتبرنـا أن اللفظ كائن حي يتطور، وأن تجميده في مستوى جاهلي أو عصر المحدثين والمولدين قد يعرقل هذا التطـور. فلذلك اتسمت اختيارات علماء اللسان بشيء غير قليل من المرونة يتبلور في تحديد نطاق المفهوم — ولو عبرنا عنه بغير اللفظ الموضوع له — طبقا للسياق (contexte) بل إن قرائن هذا السياق تطورت هي نفسها من قرائن لسانية صرف الى عناصر حية تصاحب اللفظ وتكيف المفهوم وقد تتسع لتشمل جوانب تاريخية (وهي السياق التاريخي) (historique) أو اجتماعية لسانية (socio-linguistique) ، تسجـل اللهجـات في تباينها تبعـاً لاختلاف المجتمعات. فالسياق اللساني قد يبـرز تطابق أو تباين كلمتين من خلال دلالتهما الناتجة عن الإطـار الزمني أو المكاني للاستعمال أي في نطاق ما تعوّد الناس تصوره عنـد سماع الكلمة أو وضع الكلمة داخـل الجملة ، فالصفة إذا تقدمت الموصوف قد تفيد معنىً زائـداً .

أما السياق الاجتماعي اللساني فقد أصبح لـه اليوم أثر كبير بسبب تمازج اللغات واللهجات كنتيجة حتمية لامتزاج الشعوب والمبادلات المصطلحية بـين الألسن المختلفة، في حين أن الكلمة الجاهلية لم تكـن تتجاوز حدوداً ضيقة ربما اتسعت في العصر الأموي ثم في العصر العباسي، ولكن في نطاق عروبي إسلامـي غير شمولي وقد استحال التقلص المصطلحي الـى امتداد وانبساط وتشعب وانتشار بفضـل المكانة التي أصبحت للغة الضاد منذ العصور الوسـطى عـلى الصعيد العلمي والحضاري وخاصة اليوم، حيث انضافت

(*) راجع القسم الاول من معجم المتواردات في هـذا العـدد : (الجزء الثاني الخاص بالمعاجم).

معطيات جديدة فى حقول سياسية واقتصادية وحضارية اوسع،وهكذا فقد تختلف لفظتان «مترادفتان» الواحدة عن الاخرى معنىً وسياقاً،فى حين يضفي المجتمع عليهما مفهوماً جديداً تحت تأثير مقتضيات خاصة ، وقد اصبح للاختيارات المجتمعية فى بلدان عربية رائدة اثرها فى تكييف الاضطلاع خارج إطار النواميس اللسانية المعهودة،وهذا هو بعض ما يسمى احيانا باللحن المشهور الذى يفضل على الصواب المهجور،ولذلك انكبت بعض المجامع — عن حق — على تصويب صيغ شاذة رعاية للتأثيرات اللسانية الاجتماعية فى الوطن العربى كلاً او جزءاً قديماً او حديثاً ولذلك ايضا تحتم علينا المقتضيات المعاصرة ان نعجن المصطلح من جديد عجناً يتلاءم مع متطلبات العصر وانسياقاً مع مختلف التأثيرات الاجتماعية اللسانية ، فالحركة المعجمية المعاصرة يجب ان تظل حية معطاءة تكيف المفهوم فى إطاره العلمي والتكنولوجي الحضاري الحديث،فالمراجع التى نستقي او يجب ان نستقي منها الدلالات والالفاظ الدلالية معاً هي مجموع متكامل يضم الى جانب المفردة الاصيلة اللون الجديد الذى يحدد محتوى المدرك كما يقلص فوضى الترادف السطحي فى نطاق ثنائي يوفق بين اصالة الكلمة فى جذرها او تفاريعها وبين الهيكل الاجتماعي اللساني المتطور،فللأدب الحديث وللصحافة المعاصرة ولمختلف وسائل الاعلام ضلع فى إقامة هذا الهيكل وتغذيته ولعل لتواؤم هذه العوامل مفعولاً حتمياً فى ترصيص تطابق المفرد ومفهومه وتبسيط الدلالات ورفع اللهجات « العامية » الى مستوى فصيح تتقارب فيه اللهجات الإقليمية او المحلية.فهذه الشمولية فى كينونة المفردة العربية وحيويتها هى التى ستنقذ لغة الضاد من التشتت بفضل انتقالها من شمولية محلية الى امتداد عارم على الصعيد العالمي،لاسيما وان العربية لم تعد اداة تعبير محصورة فى الإطار العربي بل تجاوزته الى ابعاد أممية فى شتى المجالات.وربما كان هناك فى الواقع عامل آخر يكيف فى الخفاء اختياراتنا وعطاءاتنا وهو العامل النفساني اى تأثير الوعي الباطني السليم — الذى قلما تختلف ماهيته وروحه لدى الانسان الواعي مهما تكن جنسيته — ففي هذا المسار الطبيعى يمكن للمصطلح ان يعيش وان يتوالد متواكباً مع مثيله الذى انبثق واكتمل على نفس الوتيرة،وليس معنى هذا انه يجب ان نهمل ولو كلمة واحدة من معجمنا الاصيل، وإنما يلزم ان نرصص ونرصن هذا التراث طبقاً لمقتضيات عصرنا دون إغفال ذلك التيار الفياض الذى جعل من لغة الضاد لغة الحضارة والعلم طوال ثمانية قرون عبر البحر الأبيض المتوسط.واذا كان سلفنا الصالح قد استطاع بلورة هذا العطاء فإن العاملين الاساسيين الذين اسهما فى تكييف ذلك وتوجيهه هما: اولا شعور هذا السلف بسموّ اصالته ورصانة ذاتيته مما قلص او استبعد كل احساس بالنقص اصبح يتجلى فى تشبثنا بسطحيات بدل التغلغل فى الأعماق،فقد استعمل السلف كلمة (فيزيقا) فى شكلها الدخيل وكذلك كلمة (اريطماتيقا) لأنهم كانوا منشغلين ببناء كيان العالم المعاصر (آنذاك) علمياً وتيكنولوجياً وحضارياً.والعامل الثانى الذى ساعدهم على خلق هذه الشمولية من خلال لغة الضاد هو فكرهم الموسوعي مما حدّا الإمام (ابن حزم) الى القول بأنه لم يكن يعرف فى بلاد الأندلس رجلين اثنين بين علمائها لم يكونا يتقنان الى جانب العربية لغات اخرى اهمها الإغريقية واللاتينية.فهذا الطموح الفياض على الصعيد الانساني،هو وحده الكفيل بخلق لغة تتواكب مع العصور وتستجيب لمتطلبات الكينونة المستمرة الفياضة،التى ساعدت العلم على ان ينطلق اول ما انطلق من العربية ومن خلال العربية — كما يقول المستشرق الفرنسي (ماسينيون) — ويفتح لها آفاقاً واسعة لتكون إحدى لغات السلام والتخاطب بين الأمم.ففي هذا الإطار نودّ ان نجعل اليوم فى متناول العرب وغير العرب ممن شغفهم جمال هذه اللغة ورواء ومنطقية بنيتها وبساطة هيكلها — جهازاً يساعدهم على إدراك الإمكانات الشاسعة والأبعاد المتناهية التى يوفرها للعربي المعاصر هذا المقوّم الحضاري الأول الذى هو لغة الضاد .

المصطلحية (علم المصطلحات):

النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها

بقلم: الدكتور علي القاسمي

100 ــ مقدمة :
110 ــ المشكلة ·
120 ــ نشوء علم المصطلحات ونموه ·
130 ــ تعريف علم المصطلحات ·
200 ــ النظرية العامة لعلم المصطلحات ·
210 ــ تعريف النظرية العامة لعلم المصطلحات
220 ــ مراكز البحوث في النظرية العامة لعلم المصطلحات ·
221 ــ تدريس علم المصطلحات في الجامعات
222 ــ التدريب في حقل المصطلحات
230 ــ توحيد المبادىء المصطلحية والمعجمية
300 ــ وضع المصطلحات واعدادها ·
310 ــ تعريف وضع المصطلحات ·
320 ــ التوحيد المعياري للمصطلحات ·
400 ــ التوثيق في علم المصطلحات
410 ــ توثيق مصادر المصطلحات
420 ــ توثيق المصطلحات
421 ــ بنوك المصطلحات
430 ــ توثيق المعلومات عن مؤسسات المصطلحات ومشروعاتها
500 ــ خلاصة وتوصيات

100 — مقدمة

110 — المشكلة :

ان التقدم فى المعرفة البشرية والتكنولوجيا والاقتصاد يعتمد الى حد كبير على تبادل المعلومات وتوثيقها . وتستخدم المفاهيم والمصطلحات التى ترمز اليها كاساس لتنظيم الأفكار العلمية وجميع المعلومات الاخرى . غير أن التطور السريع فى المعارف الانسانية ادى الى صعوبة ايجاد مصطلحات كافية شافية . اذ لا يوجد تناسب أو تطابق بين عدد المفاهيم العلمية وعدد المصطلحات التى تعبر عنها . فعدد الجذور فى أية لغة لا يتجاوز الآلاف فى حين يبلغ عدد المفاهيم الموجودة الملايين ، وهى فى ازدياد ونمو مضطردين . ففى حقل الهندسة الكهربائية مثلا ، يوجد حاليا اكثر من اربعة ملايين مفهوم فى حين لا يحتوي اكبر معجم لأية لغة على اكثر من ستمائة الف مدخل . ولهذا تلجأ اللغات الى التعبير عن المفاهيم الجديدة بالنحت والتركيب والاشتراك اللفظى وغير ذلك من الوسائل الصرفية والدلالية . وقد يقود ذلك الى ارتباك واضطراب على المستويين الوطنى والدولى ، خاصة أن تصنيف المفاهيم وطريقة التعبير عنها يختلفان من لغة الى اخرى مما يؤدي الى صعوبة فى تبادل المعلومات ونموّها . ولهذا كان لابد من توحيد المبادئ التى تتحكم فى ايجاد المفاهيم أو تغييرها وفى وضع المصطلحات المقابلة لها . ومن هنا نشأ علم المصطلحات ، وهو علم حديث النشأة شهد ميلاده هذا القرن ومازال فى دور النمو والتكامل .

120 — نشوء علم المصطلحات ونموه :

منذ القرن الماضى شرع علماء الاحياء والكيمياء بأوربا فى توحيد قواعد وضع المصطلحات على النطاق العالمى . وقد نمت هذه الحركة تدريجيا. وبين عامي 1906 و 1928 صدر معجم شلومان المصور للمصطلحات التقنية فى 16 مجلدا (1) وبست لغات . وتكمن أهمية هذا المعجم فى ان وضعه تم على ايدى فريق دولى من الخبراء ، وانه لم يرتب المصطلحات الفبائيا ، وانما رتبها على اساس المفاهيم والعلاقات القائمة بينها ، بحيث يسهم تصنيف المفاهيم ذاته فى توضيح مدلول المصطلح وتفسيره(2)وشهد عام 1931 صدور كتاب (التوحيد الدولى للغات الهندسة ، وخاصة الهندسة الكهربائية) للاستاذ فيستر Wüster الاستاذ بجامعة فينا الذي توفي عام 1977 ، بعد أن ارسى كثيرا من أصول هذا العلم الجديد . وقد عد معظم اللغويين والمهندسين هذا الكتاب من المراجع الهامة فى صنعتهم . وفى سنة 1936 ، وبطلب من الاتحاد السوفيتى ممثلا فى اكاديمية العلوم السوفيتية تشكلت (اللجنة التقنية للمصطلحات) ضمن (الاتحاد العالمى لجمعيات المقاييس الوطنية ISA). وبعد الحرب العالمية ، حلت محل لجنة التقنيات للمصطلحات ، لجنة جديدة تسمى (اللجنة التقنية 37) المتخصصة فى وضع مبادئ المصطلحات وتنسيقها ، وهى جزء من المنظمة العالمية للتوحيد المعيارى (ISO) التى تتخذ جنيف مقرًا لها ويتولى (المعهد النمساوى للمقاييس) فى فينا امانة سر « اللجنة التقنية 37 » (3).

وقد قامت هذه اللجنة بجهود ملموسة فى مجال توحيد مبادئ وضع المصطلحات سنأتي على بعضها فى الصفحات القادمة . ومن رواد علم المصطلحات ، ادوين هولمستروم (Holmstrom) ، احد كبار خبراء اليونسكو الذى شجع هذه المنظمة العالمية على انشاء (دائرة المصطلحات الدولية) ، ورصد الاموال اللازمة لنشر ببليوغرافيا بمجلدين يحتويان على عناوين المعاجم المتخصصة فى العلوم والتكنولوجيا (4). وقد تم مؤخرا اخراج طبعة جديدة مزيدة منها (5) .

وفى عام 1971 ، وبتعاون بين اليونسكو والحكومة النمساوية ، تم تأسيس (مركز المعلومات الدولي للمصطلحات INFOTERM) فى فينا ، ويتولى ادارة المركز الاستاذ هلموت فلبر Felber أستاذ علم المصطلحات فى جامعة فينا ، والمعروف بنشاطه الواسع فى هذا الحقل . ومن أهم اهداف هذا المركز ما يلى :

1) تشجيع البحوث العلمية فى النظرية العامة لعلم المصطلحات ، ووضع المصطلحات وتوثيقها ، وعقد دورات تدريبية فى هذا الحقل .

2) توثيق المعلومات المتعلقة بالمصطلحات ، والمؤسسات القطرية والدولية العامة فى هذا الميدان، والخبراء ، والمشروعات .

3) تنسيق التعاون الدولى فى حقل المصطلحات وتبادلها ، وتبادل المعلومات عنها .

4) بحث امكانات التعاون بين بنوك المصطلحات واسس تبادل المعلومات بينها .

وقد عقد هذا المركز عددا من المؤتمرات والندوات العالمية كان أولها الندوة العالمية الاولى حول التعاون الدولى فى حقل المصطلحات التى عقدت فى فينا عام 1975 وأظهرت بوضوح حاجة المنظمات الدولية للتعاون فى تبادل المعلومات حول المصطلحات ورغبتها الشديدة فيه · ومن نتائج هذه الندوة قيام المركز باعداد دليل بأسماء المنظمات العاملة فى حقل المصطلحات وانشطتها (6).ونظرا لاقبال عدد من المنظمات الدولية الكبرى على استخدام الحاسب الآلى فى خزن المصطلحات وتوثيقها ، وضرورة الاتفاق على اسس عالمية تيسر تبادل المعلومات ، نظم المركز فى فينا فى ابريل 1979 المؤتمر الاول لبنوك المصطلحات الدولية الذى كان يرمى الى :

1) ارساء مبادىء التعاون الدولى فى حقل المصطلحات العلمية والتقنية وتبادلها وشروط هذا التعاون ·

2) تطوير مجموعة من الاسس الهادية التى تيسر اقامة بنوك جديدة للمصطلحات ·

3) إعطاء فكرة واضحة عن المشكلات الرئيسة التى تواجه بنوك المصطلحات واقتراح الحلول لها · (7)

وآخر هذه المؤتمرات والندوات هى الندوة التى نظمها المركز المذكور بالتعاون مع اكاديمية العلوم السوفيتية فى موسكو فى أواخر نوفمبر 1979 لبحث المشكلات النظرية والمنهجية فى علم المصطلحات ·

130 ــ تعريف علم المصطلحات :

مع التطور الهائل فى العلوم والتكنولوجيا ، والنمو السريع فى التعاون الدولى فى الصناعة والتجارة والاقدام على استخدام الحاسبات الآلية فى خزن المصطلحات ومعالجتها وتنسيقها ، لم تعد الطرق القديمة فى جمع المصطلحات وترتيبها الفبائيا ووضع مقابلاتها فى اللغات الأخرى تفي بالحاجات المعاصرة ؛ ولهذا طور العلماء المختصون واللغويون والمعجميون والمناطقة علما جديدا أطلق عليه اسم (علم المصطلحات) الذى يمكن تعريفه بصورة عامة بـ « العلم الذى يبحث فى العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التى تعبر عنها » · وهو علم مشترك بين علوم اللغة والمنطق والاعلامية وحقول التخصص العلمى · ويهم هذا العلم المتخصصين فى العلوم والتقنيات ، والمترجمين والعاملين فى الاعلاميات وكل من له علاقة بالاتصالات المهنية والتعاون العلمى · (8)

وفى حقيقة الامر ، يتناول علم المصطلحات جوانب ثلاثة متصلة من البحث العلمى والدراسة الموضوعية وهى :

أولا : يبحث علم المصطلحات فى العلاقات بين المفاهيم المتداخلة (الجنس ــ النوع ، والكل ــ الجزء) ، والتى تمثل فى صورة انظمة المفاهيم التى تشكل الاساس فى وضع المصطلحات المصنفة التى تعبر عنها فى علم من العلوم ·

ثانيا : يبحث علم المصطلحات فى المصطلحات اللغوية، والعلاقات القائمة بينها ، ووسائل وضعها ، وأنظمة تمثيلها فى بنية علم من العلوم · وبهذا المعنى يكون علم المصطلحات فرعا خاصا من فروع علم الالفاظ أو المفردات (9) LEXICOLOGY وعلم تطور دلالات الالفاظ SEMASIOLOGY ·

ثالثا : البحث فى الطرق العامة المؤدية الى خلق اللغة العلمية والتقنية بصرف النظر عن التطبيقات العملية فى لغة طبيعية بذاتها · ويصبح علم المصطلحات فى ذلك علما مشتركا بين علوم اللغة والمنطق والوجود والاعلاميات و الموضوعات المتخصصة وكذلك علم المعرفة EPISTEMOLOGY والتصنيف · فكل هذه العلوم تتناول فى جانب من جوانبها التنظيم الشكلى للعلاقة المعقدة بين المفهوم والمصطلح · (10)

200 ــ النظرية العامة لعلم المصطلحات :

210 ــ تعريف :

كما أن (علم اللغة العام) يتناول دراسة طبيعة اللغة ونظامها بصورة عامة ، فى حين يتناول (علم اللغة الخاص) لغة معينة بالدرس والتحليل ، فان النظرية العامة لعلم المصطلحات تتناول المبادئ العامة التى تحكم وضع المصطلحات طبقا للعلاقات القائمة بين المفاهيم العلمية ، وتعالج المشكلات المشتركة بين جميع اللغات تقريبا وفى حقول المعرفة كافة ، فى حين تقتصر النظريات الخاصة فى علم المصطلحات على دراسة المشكلات المتعلقة بمصطلحات حقل واحد من حقول المعرفة كمصطلحات الكيمياء او الاحياء أو غير ذلك ·

فالنظرية العامة لعلم المصطلحات تبحث فى المفاهيم والمصطلحات التى تعبر عنها وتستخدم نتائج البحوث فى هذه النظرية كأساس لتطوير المبادىء المعجمية المصطلحاتية وتوحيدها على النطاق العالمى · ومن اهم موضوعات البحث فى النظرية العامة لعلم المصطلحات هى : طبيعة المفاهيم ، وتكوينها وخصائصها والعلاقات فيما بينها ، وطبيعة العلاقة بين المفهوم والشيء المخصوص ، وتعريفات المفهوم ، وكيفية تخصيص المصطلح للمفهوم والعكس بالعكس ، وطبيعة المصطلحات ووضعها ·

أما النظريات الخاصة للمصطلحات فتصف المبادئ التى تحكم وضع المصطلح فى حقول المعرفة المتخصصة كالكيمياء والاحياء والطب وغير ذلك · ويسهم عدد من المنظمات الدولية المتخصصة فى تطوير النظريات الخاصة للمصطلحات ، كل فى حقل اختصاصه · ومن هذه المنظمات منظمة الصحة العالمية ، والهيئة الدولية للتقنيات الكهربائية ،والبحث فى النظريات الخاصة للمصطلحات مازال فى دور النمو ·

220 — مراكز البحوث فى النظرية العامة لعلم المصطلحات :

تعد المجامع العلمية واللغوية والجامعات المكان الطبيعى لاجراء البحوث فى النظرية العامة لعلم المصطلحات · وفى النصف الاول من هذا القرن كان للعلماء النمساويين والجيكوسلوفاكيين والسوفيت قصب السبق فى هذا المضمار ، ثم انضم اليهم عدد من الباحثين فى جميع انحاء العالم · ولعل اهم مراكز البحوث فى النظرية العامة لعلم المصطلحات ما يأتى:

1) النمسا :

يعود الفضل فى انطلاقة البحث فى علم المصطلحات الى الاستاذ فيستر Wüster الذى اسس مركز للبحث فى مدينة فيزلبورغ Wieselbourg بالنمسا ، وهو مجهز بمكتبة كبيرة متخصصة فى المصطلحات ، واجريت فيه بحوث متعددة خلال الاربعين سنة الماضية (11) ويواصل الاستاذ فلبر Felber البحث فى علم المصطلحات بالنمسا ·

2) جيكوسلوفاكيا :

تدرس النظرية العامة لعلم المصطلحات فى الجامعات الجيكوسلوفاكية وتقوم اكاديمية العلوم الجيكوسلوفاكية بأبحاث فيها · وقد عقدت ندوتان فى معهد اللغات غير السلافية وفى كلية الزراعة فى براغ (12) وتعد (مدرسة براغ اللغوية) من اكبر المدارس الفكرية فى علم اللغة التى عمقت الدراسات اللغوية بما فيه الابحاث فى صناعة المعجم وعلم المصطلحات ·

3) كندا :

نظرا للازدواجية اللغوية فى كندا حيث تستعمل الانكليزية والفرنسية كلغتي تعليم وادارة ، فان الابحاث فى الترجمة وعلم المصطلحات تجد تشجيعاً واقبالاً · فكانت كندا من اوائل الدول التى بادرت الى انشاء (بنك للمصطلحات) (13) ؛ كما قامت (دائرة اللغة الفرنسية) فى كوبيك بكندا بنشاط كبير فى الابحاث المتعلقة بعلم المصطلحات ، وعقدت ستة مؤتمرات دولية لبحث قضايا هذا العلم ومشكلاته (14) ·

4) فرنسا :

يضطلع عدد من المؤسسات بالابحاث فى حقل المصطلحات منها الجمعية الفرنسية للتوحيد ،

— L'Association Française de normalisation

واللجنة الفرنسية لدراسات المصطلحات التقنية

— Le Comité d'études des termes techniques

ومركز دراسة اللغة الفرنسية الحديثة والمعاصرة

— Le Centre d'étude du Français moderne et contemporain

والجمعية الفرنسية للمترجمين

— La Société Française des traducteurs

واكاديمية العلوم الفرنسية

— L'Académie des Sciences

ومن أجل تنسيق نشاطات هذه المؤسسات فى حقل المصطلحات بادرت اللجنة العليا للغة الفرنسية سنة 1975 بتأسيس الجمعية الفرنسية للمصطلحات وانتحت هذه الجمعية الجديدة نشاطاتها بعقد مؤتمر دولي فى باريس فى حزيران 1976 لمناقشة قضايا علم المصطلحات · (15)

5) الاتحاد السوفيتى :

تقوم لجنة المصطلحات العلمية والتقنية فى اكاديمية العلوم السوفيتية وعدد من جامعات الاتحاد السوفيتى، بأبحاث فى النظرية العامة لعلم المصطلحات(16)

كما نظمت اكاديمية العلوم السوفيتية مؤتمرين عالميين حول هذا الموضوع · الاول عام 1967 فى لينينغراد ، والثانى فى اواخر نوفمبر 1979 فى موسكو حول المشكلات النظرية والمنهجية فى علم المصطلحات . كما عقدت جامعة لومونوزوف فى موسكو ندوتين حول الموضوع فى سنتي 1969 و 1971 (17) ·

6) الوطن العربى :

تجرى المجامع اللغوية فى القاهرة وبغداد ودمشق أبحاثاً فى اسس وضع المصطلحات العلمية والتقنية فى اللغة العربية . وفى عام 1969 أناطت جامعة الدول العربية مهمة تنسيق المصطلحات فى الوطن العربى بمكتب تنسيق التعريب بالرباط ، الذى شجع الابحاث اللغوية والمعجمية والدراسات المتعلقة بمشكلات المصطلحات العلمية والتقنية باللغة العربية ونشر عدداً غفيراً منها بمجلته الحولية (اللسان العربى) كما نظم المكتب ندوات ومؤتمرات للتعريب حسب خطة هادفة لاستكمال المصطلحات العربية فى العلوم والتكنولوجيا وتوحيدها ·

221 ــ تدريس علم المصطلحات فى الجامعات :

لقد تزايد الاهتمام بعلم المصطلحات فى السنوات الاخيرة ، فاضافة الى تكاثر الابحاث وتنوعها فى هذا الميدان ، بادرت عدة جامعات كبرى الى تدريس مادة (النظرية العامة لعلم المصطلحات) لا للطلاب المتخصصين فى علم اللغة فحسب ، بل لجميع طلاب العلوم والتكنولوجيا كذلك · ويبلغ عدد الجامعات التى تدرس فيها هذه النظرية حوالي عشرين جامعة فى جميع أنحاء العالم · ولايوجد كرسى استاذية لعلم المصطلحات الا فى جامعة لافال Laval فى كوبيك بكندا ·

وليست هنالك جامعة عربية واحدة ــ على ما نعلم ــ تدرس هذه المادة الجديدة ، اعني (علم المصطلحات) · ونعتقد أن الشروع فى تدريس هذه المادة فى جامعتنا العربية أمر ضروري خاصة أن جامعتنا مقبلة على استكمال تعريب التعليم فيها . وما أحوج طلاب الدراسات العلمية الى الوقوف على أصول توزيع المصطلحات اللغوية على أنظمة المفاهيم العلمية والتقنية ، وعلى المبادىء الموحدة التى تحكم وضع المصطلحات وتوحيدها !

222 ــ التدريب فى حقل المصطلحات :

يجب أن لا يقتصر تدريس النظرية العامة لعلم المصطلحات على الجامعات ، فالحاجات المتزايدة تستدعي تنظيم برامج تدريبية قصيرة لتطوير مهارات العاملين فى حقل المصطلحات يشرف عليها خبراء على معرفة جيدة باللسانيات التطبيقية ، واصول صناعة المعجم ، ومبادىء وضع المصطلحات ومعالجتها · ولقد اوصى المؤتمر الاوربى الاول للغات المتخصصة الذى عقد بالتعاون مع اليونسكو فى فينا فى أواخر اغسطس 1977 بنشر النظرية العامة لعلم المصطلحات وتشجيع التدريب عليها ، وتصميم برنامج عملي ليستعمل فى تدريس هذه المادة · وقد نظمت مثل هذه الدورات التدريبية فى عدد من عواصم العالم . ومن امثلة ذلك الدورة التى نظمتها مؤسسة NORDTERM فى كوبنهاكن من 20 الى 30 يونيو 1978 ، والدورة التى عقدتها جامعة لافال فى كندا من 28 ــ 30 اغسطس 1978.

ويزمع مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط تنظيم دورة تدريبية فى النظرية العامة لعلم المصطلحات لتدريب عدد من العاملين فى هذا الحقل فى الاقطار العربية ·

230 ــ توحيد المبادىء المصطلحاتية والمعجمية :

تتخذ نتائج الابحاث فى النظرية العامة لعلم المصطلحات اساساً تنبني عليه المبادىء الموحدة فى معالجة المصطلحات وعرضها ، ولهذه المبادىء الموحدة اهمية على صعيد التعاون الدولى فى تبادل المصطلحات ، وعلى صعيد تيسير عمل المشتغلين فى حقل المصطلحات وتنسيقه . وتقوم (المنظمة العالمية للتوحيد المعيارى) (ISO) فى جنيف التى يبلغ عدد الاعضاء فيها 44 قطرا (14 منهم بصفة اعضاء اصليين ، و30 بصفة اعضاء مراقبين أو ملاحظين) و 38 منظمة دولية متخصصة بعمل واسع فى هذا الميدان.

فمنذ سنة 1951 والمنظمة تقوم باصدار توصياتها الخاصة بتوحيد المبادىء المصطلحاتية والمعجمية التى لا غنى للعاملين فى حقل المصطلحات عنها . ويمكن تقسيم توصياتها الى اربعة مجالات هى :

(أ) المفـــردات

1 ــ (مفردات علم المصطلحات) : وهو كتيب يشتمل على مصطلحات وتعريفات وافية لخمسة

وتسعين مفهوما من المفاهيم الشائعة الاستعمال فى النظرية العامة لعلم المصطلحات ·

(ب) طريقة العمل :

2 — (دليل اعداد المفردات المصنفة) : ويحتوى هذا الدليل على تعليمات لمصنفي المسارد والمعاجم حول تقنيات عملهم ·

(ج) مبادىء التسمية :

3 — (مبادىء التسمية) ، وهو مطبوع سطرت فيه المبادىء التى ينبغى مراعاتها لدى تكوين المفاهيم وانظمة المفاهيم ؛ والمصطلحات ؛ والتعريفات ·

4 — (التوحيد الدولى للمفاهيم والمصطلحات) لا تتناول التوصيات فى هذا المنشور فوائد توحيد المفاهيم والمصطلحات والامكانات المتاحة فى هذا المجال فحسب وانما حدوده والصعوبات التى تعترضه كذلك ·

(د) ترتيب المفردات المصنفة :

5 — (ترتيب المصطلحات المصنفة بلغات متعددة): وفيه وصف للعمل التقنى فى صناعة المعاجم الخاصة بالمصطلحات ·

6 — (الرموز الخاصة باللغات ، والاقطار ، والسلطات) :

ويحتوى على قوائم باللغات والاقطار والسلطات وما يقابلها من رموز تم الاتفاق عليها دوليا ·

7 — (الرموز المعجمية ؛ المستعملة على الاخص للمفردات المصنفة المعرّفة) : وفيه عرض للرموز المعجمية الموحدة واستعمالاتها . (18)

ان هذه التوصيات التى اصدرتها اللجنة التقنية 37 (الخاصة بالمبادىء والتنسيق) فى المنظمة العالمية للتوحيد المعيارى قابلة للتعديل والتغيير فى ضوء التطورات التى تطرأ على النظرية العامة لعلم المصطلحات · وينبغى أن يبادر العلماء العرب من جميع الاختصاصات الى طرح الاقتراحات على هذه المنظمة للخروج بتوصيات تفي بحاجات اللغة العربية العلمية والتقنية مما يساعد على تيسير التعاون العلمى بين العربية واللغات الاوربية ؛ وتسهيل الاستفادة من النمو المضطرد فى المصطلحات الموضوعة باللغات الاوربية. ومن ناحية اخرى ، ينبغى أن يستفيد المعجميون وخاصة الذين يعملون على تصنيف المعاجم المتخصصة من توصيات اللجنة التقنية 37 ويطبقوها لانتاج معاجم تتوفر لها الجودة التقنية والمواصفات الدولية .

330 — وضع المصطلحات واعدادها :

310 — تعريف :

تعنى بوضع المصطلحات واعدادها جميع الفعاليات المتصلة بجمع المصطلحات وتحليلها وتنسيقها ومعرفة مرادفاتها وتعريفاتها باللغة ذاتها او مقابلاتها بلغة اخرى · وكذلك جمع المفاهيم الخاصة بحقل معين من حقول المعرفة ودراسة العلاقة بين هذه المفاهيم ثم وصف الاستعمال الموجود فعلا للتعبير عن المفهوم بمصطلح ما ، او تخصيص مصطلح معين للمفهوم الواحد. ويمر اعداد المصطلحات المعيارية بثلاث مراحل هي :

1 — دراسة نظام المصطلحات المعمول به حاليا فى حقل معين ؛ او بعبارة اخرى دراسة الاستعمال الفعلى للمصطلحات فى ذلك الحقل ، وهى دراسة وصفية ·

2 — تطوير نظام المصطلحات ، اى تحسين الاستعمال الفعلى للمصطلحات ، وهى عملية معيارية. ان وضع المصطلحات الدقيقة امام المفاهيم العلمية هو الاساس فى انتاج المصطلحات المصنفة ؛ وانظمة التصنيف ، والمعاجم الدلالية ·

3 — نشر التوصيات الخاصة بالمصطلحات الموحدة المعيارية التى وضعتها هيئة لها سلطة توحيدية وتعميم استعمالها · (19)

320 — التوحيد المعيارى للمصطلحات :

ان المفاهيم وانظمتها قد تختلف من لغة الى أخرى فهى ليست بالضرورة متطابقة فى جميع اللغات · فمدلول المصطلح او المفهوم الذى يعبر عنه يتباين من لغة الى اخرى · وهذه الظاهرة العلمية تشكل إحدى الصعوبات الشائكة فى عملية الاتصال او تبادل المعلومات على الصعيدين القومى والعالمى · ومن هنا كان لابد من توحيد المصطلحات توحيدا معياريا ينبني على اساس الاتفاق على المفاهيم وانظمتها (او بعبارة أخرى على المعانى وحقولها الدلالية) · ومن اجل ذلك يقوم المتخصصون بدراسات مقارنة للمعانى المختلفة للمفاهيم وانظمة المفاهيم فى اللغات المختلفة ·

وتضطلع بمهمة التوحيد المعيارى للمصطلحات مؤسسات وطنية على المستوى القومى كأكاديميات العلوم او المجامع اللغوية مثلا ، اما المستوى العالمى فتقوم (المنظمة العالمية للتوحيد المعيارى ISO) فى جنيف بهذه المهمة ·

ويعنى التوحيد المعيارى بصورة عامة تخصيص مصطلح واحد للمفهوم العلمى الواحد ، وذلك بالتخلص من الترادف والاشتراك اللفظى وكل مايؤدى الى الغموض او الالتباس فى اللغة العلمية والتقنية · وعلى وجه التحديد يتم هذا التوحيد المعيارى بالخطوات التالية :

1) تثبيت معانى المصطلحات عن طريق تعريفها.

2) تثبيت موقع كل مفهوم فى نظام المفاهيم طبقا للعلاقات المنطقية او الوجودية بين المفاهيم ·

3) تخصيص كل مفهوم بمصطلح واضح يتم اختياره بدقة من بين المترادفات الموجودة ·

4) وضع مصطلح جديد للمفهوم عندما يتعذر العثور على المصطلح المناسب من بين المترادفات الموجودة · (20)

ولقد ساعدت ابحاث النظرية العامة لعلم المصطلحات على التوصل الى مبادىء اساسية تحكم وضع المصطلحات · ومن هذه المبادىء مثلا مبدأ الانطلاق من المفاهيم والعلاقات القائمة بينها بدلا من الانطلاق من المصطلحات للوصول الى المفاهيم ، ومبدأ الاقتصاد فى اللغة عند وضع المصطلحات تحقيقا للسهولة فى الأداء والاستيعاب ؛ ومبدأ الأخذ بالاستعمال اللغوى وماجرى عليه العرف من المصطلحات ؛ وعدم تغييرها الا لأسباب وجيهة · (21)

وهنالك وسائل لفظية ؛ صرفية ودلالية . تستخدمها اللغة من اجل توفير المصطلحات التى تعبر عن المفاهيم العلمية والتقنية الجديدة . وهذه الوسائل هى (ا) الاشتقاق و (ب) المجاز (اضافة معنى جديد لكلمة موجودة ، او التوسع فى معناها) و (ج) النحت و (د) التعريب و (هـ) الترجمة · ولكل وسيلة مجال معين تصلح فيه اكثر من غيرها وشروط تقتضى استعمالها دون غيرها · (22)

واللغة العربية اقدر اللغات على وضع المصطلحات وتوليدها واشتقاقها ونحتها وتطويرها ؛ وذلك للعلاقة القائمة بين الصيغ الصرفية العربية والمفاهيم العامة فى الوجود · فمثلا وزن (فعالة) يدل على الحرفة او او شبهها مثل نجارة وسباكة وحدادة ، ووزن (فعال) يدل على المرض مثل : صداع وكساح وسعال ، ووزن (فعلان) يدل على تقلب واضطراب ، مثل غليان ونبضان وجيشان وهكذا · (23)

400 ــ التوثيق فى علم المصطلحات :

نعنى بالتوثيق فى حقل علم المصطلحات تجميع المعلومات المتعلقة بالمصطلحات وتسجيلها، ومعالجتها، ونشرها. ويتناول التوثيق ثلاثة اصناف من المعلومات المتعلقة بالمصطلحات وهى :

1) توثيق مصادر المصطلحات ·

2) توثيق المصطلحات ·

3) توثيق المعلومات عن المؤسسات المعجمية والمصطلحاتية ·

410 ــ توثيق مصادر المصطلحات :

هذا النوع من التوثيق يقدم خدمات لا يستغني عنها العاملون فى حقل المصطلحات من باحثين ومعجميين فهو يزودهم بالمعلومات الببليوغرافية عن مصادر المصطلحات ، ونعنى بالمعلومات الببليوغرافية : عنوان المصدر ، واسم مؤلفه او مؤلفيه ، واسم الناشر ومكان النشر ، وتاريخه ، وعدد الأجزاء والطبعة ، وترتيب المصدر فى السلسلة ان كان جزءا من سلسلة من المنشورات . واهم مصادر المصطلحات مايلى :

1) ادلة المبادىء التى تحكم وضع المصطلحات وتوحيدها ·

2) معاجم المصطلحات الموحدة والمصطلحات العلمية والتقنية فى الميادين المتخصصة المختلفة ·

3) الكتب التى تبحث فى علم المصطلحات ·

4) المجلات المتخصصة ·

5) المقالات والابحاث المنشورة ·

ويمكن ان تنشر هذه المعلومات فى كتب او قوائم كما يمكن ان تحفظ على اشرطة ممغنطة ·

ومن اهم المنجزات فى توثيق مصادر المصطلحات ببليوغرافية المعاجم العلمية والتقنية المتخصصة التى أعدها الاستاذ « فيستر » ونشرت اليونسكو المجلد

الاول منها عام 1955 والثانى عام 1959 ، ثم قامت INFOTERM باخراج طبعة مزيدة حديثة من هذه الببليوغرافية سنة 1979 · (24)

والمجلات المتخصصة هى الاخرى تحتوى على معلومات قيمة عن المصطلحات ومصادرها · (25)·

420 ــ توثيق المصطلحات :

والنوع الثانى من انواع توثيق المعلومات المتعلقة بالمصطلحات هو توثيق المصطلحات ذاتها وجميع الحقائق الضرورية عنها . اوبعبارة اخرى جمع وتسجيل وتحليل المعلومات المصطلحاتية اى المتعلقة بالمفهوم العلمى ، والمصطلح الذى يعبر عنه ، وتعريفه ، والسياق الذى ورد فيه ، والمصدر الذى استقيت المعلومات منه ، وقيمة المصطلح (اى فيما اذا كان موحدا ، متفقا عليه ، او مفضلا ، او مقترحا ، الخ)·

ينقسم توثيق المصطلحات من حيث الوسيلة المتبعة الى ثلاثة انواع :

1) توثيق المصطلحات يدويا وذلك باستخدام البطاقات او الجذاذات التى ترتب فى مجذات ·

2) توثيق المصطلحات ميكانيكيا باستخدام (الميكروفيلم) و (الميكروفيش) ·

3) توثيق المصطلحات الكترونيا ، باستخدام الحاسب الآلى فى انشاء بنوك المصطلحات ·

421 ــ بنوك المصطلحات :

ادى التطور الهائل فى المصطلحات العلمية والتقنية وانتشار استخدام الحاسب الآلى لاغراض توثيق المعلومات الى انشاء بنوك المصطلحات التى تعمل على استخدام الحاسب الآلى فى خزن المصطلحات ومعالجتها واسترجاعها ، ويتم ذلك وفقا لبرامج تم تطويرها خصيصا لاغراض المؤسسات التى تعنى بالمصطلحات ، ولقد ظهرت عدة بنوك ، تخصص كل واحد منها فى نوع معين من المصطلحات ، ولهذا اصبح من الضرورى ان تتعاون هذه المصطلحات فيما بينها وتتفق على الاسس التى يتم بموجبها خزن المصطلحات واسترجاعها · (26)

وبنوك المصطلحات فى العالم مازالت تعد على أصابع اليدين ، ولكن عددا آخر منها فى طور الاعداد والتصميم والانشاء · وبانتظار انشاء بنك المصطلحات المركزى فى الوطن العربى ، يقوم مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط بخزن المصطلحات العربية فى بنك المصطلحات التابع لشركة سيمنز فى ميونخ بألمانيا الغربية · كما يقوم معهد الابحاث والدراسات للتعريب بالرباط بخزن المفردات العربية فى بنك المعلومات التابع لوكالة الفضاء الاوربية فى فراسكاتي بايطاليا ·

وفى الملحق بهذا البحث قائمة بأسماء بنوك المصطلحات وعناوينها فى العالم ·

430 ــ توثيق المعلومات عن مؤسسات المصطلحات ومشروعاتها :

يحتاج العاملون فى حقل المصطلحات الى معرفة المؤسسات العاملة فى ذات الحقل على المستويات الوطنية والقومية والعالمية ، والى معرفة المشروعات المعجمية والمصطلحاتية التى تقوم بها ، ليسهل عليهم تبادل الخبرات والمعلومات والتعاون فيما بينهم . ولهذا اصبح من الضرورى توثيق المعلومات التالية :

1) اسماء المؤسسات العلمية والمهنية والمنظمات والاتحادات التى تعنى بالمصطلحات ، مع معلومات وافية عنها مثل عناوينها ، وتاريخ تأسيسها ،وعدد العاملين فيها ، وادارتها ، ومنجزاتها ، وتخصصها ، وهل بالامكان تبادل المصطلحات معها ، او الحصول على مطبوعاتها ، الخ ·

2) اسماء خبراء المصطلحات وعناوينهم والمنظمات التى ينتمون اليها ·

3) المشروعات المعجمية والمصطلحاتية الجارية، والمشرفون عليها ، ومتى ينتهى العمل بها ·

ولقد اصدرت (INFOTERM) فى فينا مؤخرا دليلا وافيا بأسماء المنظمات والمؤسسات العاملة فى حقل المصطلحات · (27)

500 ــ خلاصة وتوصيات :

ان التطور السريع فى العلوم والتكنولوجيا ادى الى ازدياد عدد المفاهيم التى لا تتسع لها الالفاظ اللغوية ، وكان لابد من البحث عن وسائل علمية تنظم عملية وضع المصطلحات التى تعبر عن المفاهيم بدقة، ومن هنا نشأ علم المصطلحات فى هذا القرن الذى هو علم مشترك بين اللسانيات والمنطق وعلم الوجود والاعلامية وحقول التخصص العلمى ·

وادى ازدياد المصطلحات ازديادا هائلا الى استخدام الحاسب الآلى وانشاء بنوك المصطلحات لتوثيق المصطلحات وجميع المعلومات المتعلقة بها كمصادرها والمؤسسات العاملة فى هذا الحقل .

ومن أجل تيسير عملية الاتصال على الصعيد الدولى ، وتسهيل التعاون بين المؤسسات العلمية وتبادل المصطلحات ، نشأت منظمات دولية اخذت على عاتقها عملية التوحيد المعيارى للمصطلحات . وسن المبادئ العلمية التى تحكم وضع المصطلحات وتغييرها ونشرها .

ويلقى (علم المصطلحات) اهتمام أكاديميات العلوم وعناية الجامعات فى البلدان المصنعة ، ولكنه لم يحظ بالاهتمام الذى يستحق فى الوطن العربى لحداثته وقلة المختصين فيه . ونظرا لاقبال الجامعات العربية على تعريب التعليم العالى الذى يتطلب وضع مصطلحات علمية وتقنية موحدة على صعيد الوطن العربى لتكون لنا لغة علمية واحدة ضمانا لوحدتنا الثقافية والقومية . فاننا نوصي بما يلى :

اولا : قيام الجامعات العربية بتدريس مادة (النظرية العامة لعلم المصطلحات) ومبادىء وضع المصطلحات العلمية والتقنية فى اللغة العربية . لا فى اقسام اللسانيات فحسب ، بل فى جميع الاقسام العلمية الاخرى .

ثانيا : الاسراع فى انشاء بنك المصطلحات المركزى فى الوطن العربى الذى يقوم مكتب تنسيق التعريب بالربط بالتخطيط لانشائه ، وذلك للاسراع فى عملية تنسيق المصطلحات وتوحيدها فى الوطن العربى .

ثالثا : اقامة دورات تدريبية للعاملين فى حقل المصطلحات وللذين يستخدمون المصطلحات فى نشاطهم الفكرى والاكاديمى لاطلاعهم على المبادىء المصطلحاتية والمعجمية التى توضع المصطلحات وفقا لها .

رابعا : تشجيع البحوث فى النظرية العامة لعلم المصطلحات والنظريات الخاصة للمصطلحات لدراسة انظمة المفاهيم فى حقول المعرفة المتخصصة ليسهل وضع المصطلحات المقابلة لها بطريقة علمية منظمة .

خامسا : قيام الجامعات العربية بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط ودعمه بالخبرات والمشاركة فى الندوات والمؤتمرات التى ينظمها من اجل وحدة الوطن العربى لغويا وعلميا . انطلاقا من العمل الرائد الذى تعده فى هذا الحقل اللجان الجامعية التى تكونت فى عدد كبير من الجامعات العربية لتجميع الحصيلة المصطلحية لكل دائرة علمية ومواناة المكتب بها لتفريغها فى مشروع معجم موحد يرجع الى الجامعات لوضع اللمسات الاخيرة عليه .

(1) A. Schlomann's Illustrated Technical Vocabularies.

(2) J.C. Sager and R.L. Johnson "Terminology: the state of the art", **L'actualité terminologique**, Vol. 12, n. 3 (Mars 1979) p. 1.

(3) H. Felber, "International efforts to overcome difficulties in technical communication", a paper presented to the Third European Congress on Information Systems and Networks. Luxembourg, May 1977.

(4) Wüster, E. **Bibliography of Monolingual Scientific and Technical Dictionaries**, Paris: (UNESCO, 1955 and 1959).

(5) Felber, H., Krommer-Benz, M., Manu, A. **International Bibliography of Standardized Vocabularies** (München: K.G. Sauer, 1979)

(6) Krommer-Benz, M. **World Guide to Terminological Activities** (München: K.G. Sauer, 1976)

(7) Ali M. Al-Kasimi, "Towards a central terminological data bank in the Arab World", a paper presented to the First International Conference on Terminological Data Banks, Vienna, April 1979.

(8) Helmut Felber, "The Development of a network for terminology information and documentation", a study presented to the UNESCO experts meeting in Vienna, Oct. 19-21, 1977.

(9) في الفرق بين علم الالفاظ وصناعة المعجم . انظر :
علي القاسمي - علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض مطبوعات جامعة الرياض ، 1975) ص 3

(10) Sager and Johnson, المصدر السابق ،

(11) من أهم الابحاث التي أجراها الاستاذ فيستر :
Wüster, E. "Das Worten der welt, Schaubildlisch und terminologisch dargestellt" **Sprachforum** (Bonn) 3 (1959/60) no. 3/4, PP. 183-204
« التعبير عن عالم الانسان بالكلمات »
Wüster, E. "Begriffs-und Themaklassifikationen" **Nachrichten** für Dokumentation. 22 (1971), No. 3, PP. 98-104, No. 4, PP. 143-150.
« تصنيف الذوات والمفاهيم »

(12) Brand, V. **Sbernik provoznè ekonomickè Fakulty skoly zemèdelskè Termindologickà** Studie 1, 2, 3 (Prague: Pedagogické nakladatelstvi, 1966, 1971, 1972).
مجموعة الابحاث العلمية لكلية الاقتصاد الزراعي وادارته ، كلية الزراعة في براغ ، دراسات في علم المصطلحات : 1 ، 2 ، 3

(13) Rondeau, G. "The Terminology bank of Canada", **l'Actualité Terminologique**, Vol. 11, no. 9 (Nov. 1978).

(14) انظر منشورات دائرة اللغة الفرنسية بكوبيك مثل :
Office de la langue française. **Actes du colloque international de Terminologie** (Québec : Office de la langue française 1973, 1974, 1975, 1976, 1977).

(15) Association française de terminologie (AFTERM), **Terminologies 67** (Paris : la Maison du dictionnaires, 1976) 200 p.

ـــن هذه الابحاث :

(16) Terpigorev, A.M. **Rukovodstve po razrabotke i uporjadoeniju naucnotechniceskoj terminologii** (Moskva : Izd-vo AN SSSR, 1952) 56.

دليل اعداد وتنظيم المصطلحات العلمية والتقنية

Lotte, D.S. **Osnovy postroenija naucno-techniceskoj terminologii** (Moskva : Izd-vo AN SSSR, 1961)

اساسيات تكوين المصطلحات العلمية والتقنية

(17) Moskovskij Gesudarstvennyj Universitet. **Meste terminologii v sisteme sovremennyh nauk** (Moskva : Izdatel'stvo Moskovskogo Universiteta, 1969)

Semioticeskie problemy jazykov nauki, terminologii ; informatiki (Moskva : Izdatel'stvo Moskovskogo Universiteta, 1971)

(1969) موقع علم المصطلحات فى نظام العلوم المعاصرة

(1971) مشكلات الرمز فى لغة العلوم ، علم المصطلحات والاعـــلاميات

(18) وقد صدرت هذه التوصيات بالمطبوعات التى تحمـــل الارقام والعناوين الاتية :

(1) ISO/R 1087-1969 "Vocabulary of terminology
(2) ISO/R 919-1969 "Guide for the preparation of classified vocabularies.
(3) ISO/R 704-1968 "Naming principles"
(4) ISO/R 860-1968 "International unification of concepts and terms"
(5) ISO/R 1149-1969 "Layout of multilingual classified vocabularies"
(6) ISO/R 639-1967 "Symbols for languages, countries, and authorities"
(7) ISO/R 1951-1973 "Lexicographical symbols particularly for use in classified defining vocabularies".

وتقوم المنظمة العربية للمقاييس والموصفات بترجمتها بالتعاون مع مكتـــب تنسيق التعريب .

(19) M. Krommer-Benz, "Infoterm and Termnet : international activities in terminology"

بحث القى فى الندوة التى عقدت فى بوزنانى فى بولنـــدا 16 ــ 21 ؛ اكتوبر 1878

(20) H. Felber, "International efforts to overcome difficulties in technical communication" in **Third European Congress on Information Systems and Networks** (München : Verlag Dokumentation, 1977) vol. 1, p. 90.

(21) H. Felber, "International standardization of Terminology : theoretical and methodological aspect."

بحث معـــد للنـــشر

(22) Ali M. Al-Kasimi, **Linguistics and Bilingual Dictionaries** (Leiden : E.J. Brill, 1977).

وكان لعلماء الحضارة العربية الاسلامية أيام ازدهارها وسائلهم فى وضع المصطلحات الجديدة ، انظر د · جابر الشكرى ، « المصطلح الكيميائى فى التراث العربى » بحث القى فى ندوة تعريب الكيمياء ، تونس يوليو 1979 ·

23) انظر قرارات مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، مثلا.

24) انظر الهامش رقم (5)

25) من اهم المجلات العالمية المتخصصة فى ميدان المصطلحات : (BABEL) : لسان اتحاد المترجمين الدولى و (Lebende Sprachen) و (DIN-MITTEILUNGEN) ومجلة (اللسان العربى) التى يصدرها مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط .

26) على القاسمى ، « نحو انشاء بنك المصطلحات المركزى فى الوطن العربى » فى مجلة **اللسان العربى** ، العدد 16 ، الجزء 1 ، ص ، 109 .

(27) Krommer-Benz M. **World Guide to Terminological Activities** (München : Verlag Dokumentation, 1977).

الملحق (1)

بنوك المصطلحات فى العالم

EUROPE

1 - Commission of European Committees. Department for Medium and Long Term Translation. Terminology Office
Centre européen, Kirchberg, Luxembourg

الاختصاص : العلوم ، التكنولوجيا . الاقتصاد
اللغات : الالمانية ، الانكليزية ، الفرنسية ، الدنماركية ، الايطالية ، الهولندية ·

2 - FEDERAL REPUBLIC OF GERMANY
Bundessprachenamt (Federal Office of Languages)
D-503 Hürth (Cologne), Horbeller Strabe

الاختصاص : العلوم والتكنولوجيا .
اللغات : الالمانية . الانكليزية ، الفرنسية . الروسية ·

3 - Siemens AG. Sprachendienst (Language Service Department)
D-8000 München 25, Hofmannstr. 51

الاختصاص : التكنولوجيا
اللغات : الالمانية ، الانكليزية . الفرنسية. الهولندية . الاسبانية ، الايطالية البرتغالية ، الروسية . العربية

4 - GERMAN DEMOCRATIC REPUBLIC

Institut für Angewandte Sprachwissenschaft und rechenzentrum. Technische Universität Dresden (Institute for Applied Linguistics and Data Processing centre. Technical University Dresden)

8027-Dresden, Mommsenstr. 13

الاختصاص : تكنولوجيا الكهرباء ، الالكترونيات

اللغـــات : الالمانية ، الانكليزية ، الفرنسية ، الـروسـية

5 - FRANCE

Association française de normalisation (AFNOR)
(French Association for Standardization)
92080 Paris - La Défense, Tour Europe

الاختصاص : المصطلحات الفرنسية الموحدة .

اللغـــات : الانكليزية والفرنسية

6 - SWEDEN

Tekniska nomenclaturcentralen (TNC). (Centre of Technical Terminology)
s-10072 Stockholm 43, Liljeholmsvägen 32. Box 43041

الاختصاص : العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد

اللغات : الالمانية . الانكليزية . الدنماركية . النرويجية ، السويدية . الفرنسية ، الروسية . الفنلندية .

7 - UNION OF SOVIET SOCIALIST REPUBLICS (USSR)

Vsesojuznyi Nauèno-Issledovatel'skij Institut Techmièeskoj informacii, Klassifikacii i Kodirovanija (VNIIKI) (All-Union Research Institute for Engineering Information, Classification and Coding)
Moskva K-1, Ul. Scuseva 4

الاختصاص : المصطلحات الروسية الموحدة .

اللغـــات : الالمانية . الانكليزية . الفرنسية . الروسيـــة .

8 - SOUTH AFRICA

The South African Institute of Translators
P.O. Box 3593, Pretoria 0001

الاختصاص : العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد .

اللغـــات : الالمانية ، والانكليزية . والافريقانية والفـرنسية ، والـروسية .

9 - CANADA
Banque de terminologie de l'Université de Montréal
(Terminology Bank of the University of Montreal)
Montreal, Canada

الاختصاص : العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد ·
اللغـــات : الانكليزية والالمانية والفـــرنسيةواللاتينيـــة ·

10 - Banque de Terminologie de Québec (Terminology Bank of Québec)
Régie de la langue française (Office for French Language).
Québec, Cité Parlementaire (Edifice G).

الاختصاص : العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد ·
اللغـــات : الانكليزية والفرنسية (واحيانـــا الالمانية والايطالية والاسبانيـــة واللاتينية) ·

11 - UNITED STATES
US Department of Commerce, National Bureau of Standards. Standards Information Services, Engineering and Product. Standard Division
Washington D.C. 20234, Room B 147, Building 225

الاختصاص : المصطلحـــات الموحـــدة ·
اللغـــــة : الانكليزيـــة ·

12 - TERMINOLOGY WORD BANKS UNDER STUDY
The establishment of a terminological data bank is being investigated : in the United Nations, New York ; at the World Bank, Washington ; in the Netherlands ; in Denmark ; in Yugoslavia ; at the DIN Deutsches Institut für Normung (FRG).

ازدواجية اللغة :

نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية

للدكتور : محمد راجي الزغلول
جامعة اليرموك

تعتبر مشكلة ازدواجية اللغة العربية من اهم المشكلات اللغوية الاجتماعية التربوية التى تواجه الوطن العربى . ولطبيعة هذا الموضوع الحساسة من الناحيتين القومية السياسية والدينية فانه لم يلق عناية موضوعية كافية او بحثا مستفيضا فى ضوء الدراسات المعاصرة خاصة التطورية والمقارنة منها. فى هذا البحث سأتناول قضية الازدواجية بالتعريف واربطها بالوضع اللغوى العربى شارحا اربعة انماط للعربية تحدث عنها الغربيون وتبعهم العرب فى الحديث عنها ، ثم فكرة الدعوة الى العامية مبينا ثلاث مراحل تاريخية هامة لتطورها ومن ثم سأناقش هذا الوضع فى ضوء الدراسات اللغوية الحديثة لأخلص بنتائج واقتراحات آمل أن تكون موضع المناقشة والتنفيذ . ونظرا لان جذور المشكلة تكمن فى الاهتمام الذى ابداه الغربيون بها ، فسأورد فى كثير من المواقع استشهادات مما قاله بعض مفكريهم فى الجوانب المختلفة لهذه القضية .

ان كلمة « ازدواجية » ترجمة للاصطلاح الانجليزى « Diglossia » يعتقد أن اول من تحدث عن هذه الظاهرة هو اللغوى الالمانى كارل كرمباخر فى كتابه المشهور **مشكلة اللغة اليونانية الحديثة المكتوبة (1)** عام 1902 اذ تطرق الى طبيعة هذه الظاهرة واصولها وتطورها ، واشار بشكل خاص الى اللغتين اليونانية والعربية وخلص الى نتائج تفسر كثيرا من التطورات المتأخرة لبعض الدعوات فى العالم العربى ؛ اذ اقترح على اليونانيين ترك « ازدواجيتهم الشرقية » واللحاق بالعالم الغربى بتبنى العامية لغة قومية ، كذلك دعا العرب الى ترك فصيح لسانهم وتبنى احدى اللهجات — مفضلا المصرية — لغة قومية. لكن الراى العام المقبول فى ادب هذه الظاهرة اللغوية هو ان العالم الفرنسى وليم مارسيه اول من نحت هذا الاصطلاح (بالفرنسية La Diglossie) وعرّفه فى مقالة تخص الازدواجية فى العربية عام 1930 بقوله:

« هى التنافس بين لغة ادبية مكتوبة ولغة عامية شائعة للحديث » (2) وبعد ثلاثة عقود من الزمان ، وعلى جهة التحديد عام 1959 وفى مقالة تعد من اشهر ما كتب عن الموضوع — لانه قلما تجد باحثا فى الازدواجية لم يرجع اليها — قدّم اللغوى الامريكى شارلز فيرجسون هذا الاصطلاح الى الانجليزية اذ بحث اربع حالات لغوية تتميز بهذه الظاهرة وهى العربية واليونانية والالمانية السويسرية واللغة المهجنة فى هايتي . كما قدم فيرجسون تعريفه المعروف لهذه الظاهرة :

« حالة لغوية ثابتة نسبيا يوجد فيها فضلا عن اللهجات الاساسية (التى ربما تضم نمطا محددا او انماطا مختلفة باختلاف الاقاليم) نمط آخر فى اللغة مختلف ، عالى التصنيف (وفى غالب الاحيان اكثر تعقيدا من الناحية القواعدية) فوقي المكانة وهو آلة لكمية كبيرة ومحترمة من الادب المكتوب لعصور خلت او لجماعة سالفة ويتعلم الناس هذا النمط بطرق التعليم الرسمية ، ويستعمل لمعظم الاغراض الكتابية والمحادثات الرسمية لكنه لا يستعمل من قبل اى قطاع من قطاعات الجماعة المحلية للمخاطبة او المحادثة العادية » (3)

(1) Karl Krumbacher. **Das Problem der modern griechischen Schriftsprache.** Munich, 1902.
(2) William Marçais « La diglossie Arabe » **L'enseignement Public,** Vol. 97, 1930.
(3) C. Ferguson. « Diglossia »

دعا فيرجسون هذا النمط « المرتفع» وهو الفصحى ، وقارن استعماله « بالمنخفض » وهو النمط العامى وأعطى نموذجه التالى لاستعمالات كل منهما لتوضيح الفروق المذكورة : (1)

	الحالة	عال	منخفض
01	الوعظ فى المسجد (أو الكنيسة)	×	
02	التعليمات للخدم والعمال والكتبة		×
03	الرسائل الشخصية	×	
04	الخطبة فى مجلس الامة ، الحديث السياسى	×	
05	محاضرات الجامعة	×	
06	الحديث مع الاصدقاء والزملاء وافراد العائلة		×
07	اذاعة الاخبار	×	
08	التمثيليات الاجتماعية فى الاذاعة		×
09	افتتاحية الصحف ، اخبار الصحف والعناوين	×	
010	التعليق على الكاريكاتير		×
011	الشعر	×	
012	الادب الشعبى		×

ويمضى فيرجسون فى المقالة نفسها ليتنبأ بما سيكون عليه الحالة اللغوية فى اللغات الاربع المذكورة بعد القرنين القادمين وعلى وجه تقديره عام 2150. والجزء الخاص بالعربية جدير بالذكر هنا . ويفسر لنا أيضا بعض الاتجاهات والدعوات فى العالم العربى . يتوقع فيرجسون ان يكون هناك تقدم بطيء نحو تطور مجموعة من الانماط اللغوية يرتكز كل منها على احدى العاميات مع مزيج مركز من مفردات الفصحى . وهناك بناء على توقعه ثلاثة انماط رئيسية : اولها العربية المغربية وترتكز على عامية الرباط او تونس ، وثانيها المصرية وترتكز على عامية القاهرة ، والثالثة ما اسماه المشرقية وترتكز على عامية بغداد ، ويضيف فيرجسون مكملا توقعاته انه بناء على تطورات سياسية واقتصادية غير متوقعة فلربما نشأ نمط جديد للعربية فى سوريا مرتكزا على عامية دمشق وآخر سودانى يرتكز على عامية ام درمان او الخرطوم . او انماط اخرى على حد قوله . (2)

ودعا فيرجسون فى ختام مقالته المختصين لدراسة هذه الظاهرة بشكل اوسع وقد تم ذلك بالفعل وخاصة بين علماء اجتماع اللغة. يقول دل هايمز (3) اللغوى الاجتماعى الامريكى تعليقا على مقالة فيرجسون أن الازدواجية مثال ممتاز لتمايش نظامين غير متداخلى الفهم (ويقصد هنا الفصحى والعامية وصعوبة فهم الفصحى على العوام) وترابط كل من هذه الانظمة بمفاهيم وقيم مختلفة ، وكمثال لضرورة الرجوع الى الجماعة المحلية للتحكيم لتجنب اى تحريف أو تشويه قد ينشأ بحالة الاتصال . وكذلك تعرض لهذه الظاهرة بالدرس كل من جمبيرز Gumperz وفشمان Fishman نقد أضاف جمبيرز فى اعماله الكثيرة ذات العلاقة بهذه الظاهرة (4) بأن الازدواجية ليست حصرا فى المجتمعات المتعددة اللغات التى تعترف رسميا بعدة لغات ، ولا فى المجتمعات التى تتكلم أنماطا عامية وفصحى ولكن فى المجتمعات التى تستخدم لهجات منفصلة ، او أساليب مختلفة او اى انماط أخرى تخدم وظائف مختلفة. كذلك بحث النماذج الاجتماعية التى تحدد استعمال نمط دون آخر . اما فشمان (5) فقد لخص ما قدمه

1) المصدر نفسه . 9 . 328

2) المصدر نفسه

(3) D. Hymes. « Introduction to Social Structure and Speech Community. » In D. Hymes (ed.), **Language in Culture and Society.** New York : Harper and Row Publishers, 1964, 385-390.

(4) J. Gumperz. « Types of Linguistic Communities » : اخص بالذكر منها
« Linguistic and Social Interaction in. Two Communities »
« On the Ethnology of Linguistic Change »
« The Speech Community »

5) بحث فشمان ظاهرة الازدواجية فى مؤلفات كثيرة اخص بالذكر منها :

a. J. Fishman etal (eds) **Language Problems in Developing Nations**
b. " " **The Sociology of Language**
c. " " **Language and Nationalism**
d. " " **Readings on the Sociology of Language**

لدراسة هذه الظاهرة بأنه تناول استمرارية الازدواجية وتعطيلها على المستوى القومى والاجتماعى . وحاول ربط الازدواجية ببعض الاعتبارات النفسية وما يختص منها بثنائية اللغة bilingualism بشكل رئيسى ودرس نماذج من الجماعات التى تتميز بالازدواجية والثنائية ، وبالازدواجية دون الثنائية وبالثنائية دون الازدواجية ، والجماعات التى لا تعانى من الازدواجية او الثنائية ، وقبل سنوات قليلة ، تناول آلَنْ كي (1) A. Kaye تعريف الازدواجية بشكل مختلف اذ انتقد تعريف فيرجسون لها ووصفه بأنه « انطباعى » ونظر الى وضع الازدواجية كوضع لا يميل الى الاستقرار والثبات كما فهمه فيرجسون ، كذلك فهم الفرق بين النمطين الاساسين للعربية الفصحى والعامية بأنه الفرق بين نمط معرف « defined » وهو العامية وغامض التعريف « ill defined » وهو الفصحى . فالعامية فى رايه نمط معرف ، لان الطفل يتعلمها لغة اولى اما الفصحى فانها نظام غامض التعريف لانها لا تكتسب لغة اولى بل يتعلمها الطفل فيما بعد فى المدرسة . وفى اعتقاده انه لوجود تفاعل مستمر بين النظامين ، لا يمكن أن نستنتج بأن الوضع الازدواجى يميل الى الثبات ، بل على العكس هو متغير .

لقد اعتبر الوضع الازدواجى فى اية لغة انه يشكل عوائق مختلفة للناطقين بتلك اللغة . كما اعتبره الكثير من الباحثين عائقا للتعليم وللتطور التربوى والاقتصادى والتماسك القومى . يقول الباحث سوتيرو بولص (2) الذى تناول بالتفصيل ، الوضع القائم باليونان حيث كان لامد قصير التنازع بين الفصحى والعامية كلغة للبلاد (لقد حلت المشكلة فى اليونان قبل بضعة اشهر بتبنى العامية « ديموتيكا » لغة رسمية للبلاد وترك الفصحى « الكا ثارفوسا » بناء على قرار حكومى) فى وصف انعكاسات الازدواجية اللغويـة .

... « وان تكن الازدواجية . وبشكل موضوعى . اداة بارعة للضرورة فانها من وجهة النظر الاقتصادية والتماسك القومى وفعالية التعليم والاتصالات واجهزة الاعلام لعائق . بالاضافة الى ذلك ، وباعتبار حقيقة وظيفة اللغة ليست للاتصال على وجه التحديد وحقيقة أن اللغة تخدم احتياجات الشخص والمجتمع العاطفية والمعرفية والنفسية ، فان وجود الازدواجية فى الجماعة اللغوية لذو آثار محددة بل معقدة لقوتها التعبيرية. الازدواجية رمز وتذكرة للصراع الاجتماعى ونقص التماسك الاجتماعى . »

هل يصدق هذا على العربية ؟ ان كان الحال كذلك فكيف الطريق لتجنب تلك العوائق ؟ هل للعربية وضع خاص يختلف عن غيرها من اللغات ؟ سأحاول الاجابة عن هذه الاسئلة بعد أن أحدد المشكلة فى سياقها العربى . لذلك سأبدأ ببحث اربعة انماط للغة العربية ، يعرف منها العرب الفصحى والعامية ، اما النمطان الآخران فقد ابرزهما كتّاب غربيون او عرب تعلموا بالغرب وبأمريكا خاصة . ولو وضعنا الانماط الاربعة على خط مستقيم لوجدنا الفصحى على طرفه الايمن ، والعامية على طرفه الايسر وتارب كل من النمطين الجديدين احد الطرفين . والانماط الاربعة هى العربية الفصحى ، العربية الحديثة ، عربية المثقفين والعامية . سأبحث تلك الانماط مبينا بعض الاتجاهات نحو الانماط مناقشا ومبينا بعض آراء الدارسين الغربيين لظاهرة الازدواجية فى اللغة العربية.

1) العربية الفصحى وهى ما يسميه الغربيون Fusha Arabic او Classical Arabic وما سماه فيرجسون بالنمط العالى او « المرتفع » .

الفصحى بالدرجة الاولى هى لغة القرآن ولغة الاسلام وهى الوسط الذى انتشر به الاسلام دينا وثقافة . والعلاقة بين العربية الفصحى والاسلام علاقة عضوية حميمة . قال تعالى : « انا انزلناه قرآنا عربيا » وقال « بلسان عربى مبين » . ولا غرو ان يكون هذا السبب الاول فى احتفاظ العرب بلغتهم على اختلاف

---

(1) A. Kaye. « Remarks on Diglossia : Well - defined Vs. Ill - defined ». « Modern Standard Arabic and the Colloquials. » وله مقالة اخرى جديرة بالدراسة هى :

(2) Sotiropoulos. « Diglossia and the National Language Question in Modern Greece », Linguistics, 197 (1977) PP 5-31.

مآربهم واهوائهم عبر التاريخ ورغم كل ما بذله الغازون والمستعمرون عبر التاريخ العربى الاسلامى من جهد فى سبيل تحويرها أو تحريفها او ابدالها بلغة اخرى . ولابد من نظرة عميقة فى هذه العلاقة بين العربية والاسلام التى تنعكس فى آراء المسلمين فى بلاد مناى الصين وبورما وأفغانستان وروسيا السوفيتية وغرب افريقيا وفى آراء ومعتقدات العرب منهم خاصة حتى ندرك قيمة هذه اللغة ومدى تمسك المسلمين بها . وقد حاول عدد من المفكرين المسلمين أن يشرحوا او يبينوا هذه العلاقة وللفكر الغربى بالذات ، وللمستغربين فى تفكيرهم . فعلى سبيل المثال يقول الشيخ عناية الله الاستاذ فى جامعة البنجاب فى مقالة نشرتها مجلة « Islamic World » فى توضيح هذه العلاقة (1) :

« العربية ذات اهمية عظمى لكونها اللغة الدينية للمسلمين الذين يكونون خمس الجنس البشرى ...ويتم التاكيد فى القرآن الكريم مرارا وتكرارا على حقيقة ان كلمة الله قد اوحى بها باللسان العربى . ومن طرف العالم الاسلامى الى الطرف الآخر ، ومهما كانت لغة المسلم سواءأكانت بربرية ام حوساوية ام بشتو ام فارسية ام تركية ام جاوية ام ملاوية ، فان الصلوات تقام خمسة اوقات بالعربية يوميا . اما الكلمات الاساسية فى العقيدة الاسلامية — لا اله الا الله محمد رسول الله — فانها تهمس فى اذن الوليد ومن بين اولى الجمل التى يعلم الطفل أن ينطق بها وتلك ينبغى ان تكون هى الكلمة الاخيرة على شفاه الميت » .

ويستطرد الشيخ عناية الله ،

« بدون العربية يكون فهم الاسلام ناقصا ولأي فهم للافكار المؤثرة بطريقة حياة المسلمين وعقائدهم التى يعتبرونها اكثر الاشياء قدسية ومبادىء دينهم واخلاقهم التى ينشاون عليها ، علينا أن نعود للعربية فهى الاداة الاصيلة لكل العلوم الدينية فى الاسلام ».

من هنا نبع الاعتقاد بقدسية اللغة العربية بشكلها الفصيح وقد اثر هذا الاعتقاد تاثيرا واضحا فى اتجاهات العرب نحو لغتهم ، يقول انور شحنة (2) فى كتابه المعروف فى الغرب عن اللغة العربية واهميتها بالتاريخ واصفا اثر هذا الاعتقاد :

« ان الايمان بقدسية القرآن ، فيما يتعلق بمعانيه وكلماته وحتى ادق تفصيلاته ، اصبح يشتمل ويحتوى اللغة العربية بكليتها . ان مسالة كون العربية اعطية الله ، وبناء عليه فهى فوق اللغات جميعا بجمالها وثروتها ونبلها ، قد استحوذت وبعمق على اهتمام وتفكير فقهاء اللغة ومشرعى الاسلام والفلاسفة والفقهاء وغيرهم . »

ان ما لا يفهمه الغربيون والمستغربون من اعداء امة العرب هو هذه العلاقة العضوية الحميمة بين الاسلام والعربية وما لها من انعكاسات على تفكير المسلمين ، ومنزلة هذه اللغة بانفسهم . وعلاوة على ذلك كله ما تركته هذه اللغة من آثار على استمرار الخط الحضارى المتماسك للعرب والمسلمين . فبالاضافة الى كونها لغة الاسلام ، فقد كانت اللغة التى سجلت بها الحضارة العربية الاسلامية وحفظت. ولا نستطيع ان نعطى هذه النقطة حق قدرها الا اذا امعنا التفكير فيها ووضعنا الفرضيات المختلفة فيما لو كان الحال غير ذلك . دعنى هنا اقتطف بعض ما قاله المستشرق كاشيا فى تبيان توضيح هذا الامر، يقول كاشيا : (3)

« فوق ذلك كله فان الفصحى هى مفتاح تلك الكنوز الضخمة من الماضى ... ثباتها لم توازيه اية لغة وفى هذا اليوم يستطيع اى عربى فى المرحلة الثانوية من تعليمه ، ان كان مهتما وقادرا على بذل قليل من الجهد أن يعبر الى (ويكون فى متناوله) السجل الكامل للالف وثلاثمائة عام الماضية » .

هل يستطيع الانجليزى او الفرنسى او الاسبانى عمل ذلك ؟ هل يستطيع التركى او الطليانى عمل ذلك؟ هل يستطيع اى شاب من تلك الجنسيات ان يقرا تراث امته كما كتب لفترة ما قبل الف عام مثلا ؟ وحتى خمسمائة عام ؟ تتمنى الامم ان يكون ابناؤها قادرين

(1) S. Inayatullah « Arabic as the Religious Language of the Moslems. »
(2) A. Chejne. **The Arabic Language** : Its Role in History P. 9
(3) P. Cachia « The Use of the Colloquial in Modern Arabic Literature. », P. 12

على دراسة تراثها ولهذه الفترة الزمنية . ان الانجليزى على سبيل المثال لا يستطيع ان يقرأ اى شيء من تراثه بشكله الاصلى مما يزيد تاريخه على خمسمائة عام وحتى ذلك من الصعوبة بمكان ، اننا لن نستطيع ادراك اهمية ذلك الا اذا ادركنا قيمة الاستمرارية الحضارية على المستوى الانسانى وبشكل شامل .

بالاضافة الى هذه العلاقة مع الاسلام فان علاقة العربية بالقومية العربية والوحدة العربية ليست اقل من ذلك بمكان . فهى عماد القومية العربية وأحدُ اهم مكوناتها كما اوضح ذلك عدد كبير من كتاب العالم العربى وادبائه من بينهم ساطع الحصرى فى معظم كتاباته فى هذا الميدان . (1) كذلك ما زالت العربية بشكلها الفصيح اكبر قوة موحدة فى عالم عربى تتنازعه قوى التفتت بعد الأسلام . وهنا اود ان اقتطف بعض ماقاله الاستاذ السابق فى الجامعة الامريكية فى بيروت ريتشارد يوركي فى مقدمة لمحاضرة القاها ، فى قاعدة لاكلان الجوية الامريكية ، على مجموعة من العسكريين الامريكيين الذين يدربون مبعوثى بعض الجيوش العربية فى امريكا . يقول يوركى : (2)

« وعلى اختلاف تلك الدول وتشعبها ، هناك قوة موحدة عظيمة واحدة : العربية الفصحى ، هذا النمط من العربية الذى تحمل وثبت لألف وخمسمائة عام خلت ، والذى يعتبر لغة القرآن المقدسة ويحترم لتراثه الادبى الهائل ، بشكل رئيس ، لم تتغير هذه النوعية من العربية منذ عهد محمد وهى تراث عام يوحد جميع العرب : ذلك العربى الفرنسى الثقافة فى المغرب ، وذلك الكاتب الانجليزى التعليم فى فلسطين وذلك البدوى الذى ما زال متنقلا فى الحجاز، جميعهم يتقاسمون احتراما شبه اسطورى لفصاحة ومرونة العربية وبشكل خاص ما دعاه المستشرق البريطانى جب « لغة الادب الثمينة والمزينة بخيال غالبا ما يكون ساحرا ومترامى الاطراف » .

بالرغم من تلك الوظائف التى تؤديها وادتها العربية الفصحى ، الا انها وصفت وتوصف من قبل ابنائها احيانا واعدائها احيانا اخرى بالجمود والاصطناعية والصعوبة المتناهية خاصة من قبل الداعين الى العامية .

كذلك يعتبرها عدد من الباحثين لغة « غير طبيعية » لانه ليس هناك من يتعلمها لغة اولى بل يتعلمها الطفل لغة ثانية فى المدرسة . وهذا الكلام ، ولا شك ، نابع عن جهل اذ ان الكثير من اللغة العربية الفصحى يتعلمه الطفل اثناء اكتسابه لعاميته . اما صعوبتها وصعوبة تعلمها فيتذرع الداعون لذلك بصعوبة نحوها الذى كتب قبل ما يقارب الف عام وتلما تغير بعد ذلك . بالرغم من ذلك فانه يشهد لها كواحدة من اغنى ، ان لم تكن اغنى ، لغات العالم بمفرداتها . ورغم أن فيرجسون فى مقالة ثانية عما دعاه خرافات عن اللغة العربية يدرج هذه كاحدى الخرافات الا انه يدعمها كحقيقة بقوله ان ذلك ناتج عن الاستمرار الطويل فى استعمال الفصحى ودوام اثرائها من اللهجات وطرق النحت والوسائل الاخرى (3) .

2) العامية او المحكية او الدارجة وهو النمط الذى يسميه الباحثون الغربيون Colloquial Arabic او Spoken Arabic .

فى الكثير من الابحاث المنشورة عن العربية ، هناك تركيز على الفكرة القائلة بأن اللهجات العامية تطورت عن الفصحى بعد اتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية واتصال الشعوب العربية بشعوب اخرى بالاضافة الى توزيعهم الجغرافى . لاداعى هنا لمناقشة هذا الراى ، لكن هناك الكثير من الدلائل التى تشير الى ان اللهجات العربية قديمة قدم اللغة العربية نفسها وما الفصحى مقارنة بتلك اللهجات الا لغة ادبية مشتركة كتب بها الشاعر الشمالى والجنوبى

---

(1) ذكر الحصرى وركز على هذه الناحية فى معظم مؤلفاته واخص بالذكر منها آراء واحاديث فى اللغة والادب وابحاث مختارة فى القومية العربية

(2) R. Yorkey. « Practical EFL Techniques for Teaching Arabic Speaking Students » P. 59.

(3) C. Ferguson « Myths About Arabic » P. 377.

والشرقي والغربي على اختلاف لهجاتهم المحلية تماما لاختلاف لهجات قبائلهم .

كذلك كانت هذه اللغة الادبية هي اداة التفاهم في اللقاءات والاسواق الادبية . يخلص الدكتور محمود حجازي في كتابه اللغة العربية عبر القرون (1) الى النتيجة بانه انطلاقا من وجود هذه اللغة الادبية فانه من الطبيعي أن يكون القرآن الكريم « بلسان عربي مبين » وان لا يكون محليا في التعبير بلهجة ما بينما الاسلام دعوة الى تجاوز المحلية القبلية الى افق عالمي أرحب . وقد اعتبر عدد من الباحثين أن هذه اللغة الادبية هي لهجة قريش وقد تبنى من بين المحدثين الدكتور صبحي الصالح في كتابه « دراسات في فقه اللغة » وجهة النظر هذه ودافع عنها . (2) بالرغم من ذلك فان اللغويين العرب لم يبدوا اهتماما باللهجات ودراستها . ومرد ذلك غلبة التشابه بين هذه اللهجات من جهة وبينها وبين اللغة الادبية من جهة اخرى وسهولة التفاهم او وجود ما يسمى بالنظرية اللغوية الحديثة « الفهمية المتبادلة » (Mutual intelligibility) بين هذه اللهجات واللغة الادبية . بالرغم من عدم الاهتمام الفائق ذلك فان هناك اشارات للمزايا البارزة لكل من هذه اللهجات واختلافها عن بعض ، أورد الكثير منها ابن جني في الخصائص (3) ومن الطبيعي ان يكون التركيز على المزايا البارزة وخاصة في حقل الاصوات وهو حقل يثير الاهتمام والملاحظة . وجملته المشهورة تلخص بعض الخصائص البارزة لتلك اللهجات حين قارنها بلهجة قريش « فقد ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجع قيس وعجرفية ضبه وتلتلة بهراء » ، كما ورد المزيد منها في المزهر (4) كالفخفخة في لغة هذيل والعجعجة في لغة قضاعة وشنشنة اليمن ولخلخانية اعراب عمان وطمطمانية حمير ... الخ .

لكنه باتساع رقعة الدولة العربية الاسلامية ومخالطة الاعاجم والاتصال بلغات مختلفة ومتعددة الاصول والفروع اخذت الفوارق تزداد بين تلك اللهجات من جهة وبينها كمجموعة وبين الفصحى من الجهة الاخرى . وبالرغم من اتساع الفوارق الا ان انتشار الفصحى لم يتوقف اذ كانت هي الاساس واصبحت لغة العلم والسياسة والابداع والتأليف والترجمة فيما بعد . ثم اخذت في الركود في العصور المتأخرة حتى كان الحكم العثماني ومحاولات التتريك ثم الاحتلال الفرنسي ومحاولات الاحتواء والضم بالقضاء على العربية . والاحتلال الانجليزي ومحاولات التجزئة بضرب الفصحى . وهكذا زاد اتساع الشقة بين اللهجات والفصحى بزيادة استعمال اللهجات وقلة استعمال الفصحى حتى وصف بعضهم اللغة الفصحى بأنها لغة ثانية ، واصبح الاعتقاد الشائع ان الفهم المتبادل بين اللهجات ضعيف .

ينظر العربي بشكل عام للهجته بالنسبة للفصحى على انها ليست ناقصة فحسب بل انها تشويه للغتنا المقدسة ، لغة الفصاحة والادب وقد وصفت العاميات باقذع الالفاظ من قبل الادباء والكتاب العرب فهي مصاحبة للجهل والسوقية كما قال عبد الملك (5) لغة السكارى والخدم ... فوضوية ولا قواعد لها كما يقول المبارك (6) علامة للجهل والامبريالية كما يقول ناصيف (7) ، لا تستحق أن تسمى لغة ولا تلائم اهداف الحياة الثقافية كما يقول طه حسين (8) ، ينشرها ويحبذها الاميون كما يقول فهمي (9) ... الخ . وبعض هذه الاوصاف مبالغة في الاتهام وتنقصه العلمية ، فللعامية قواعد وتستطيع كتابتها ان كان ذلك ذا

---

1) د. محمود فهمي حجازي . **اللغة العربية عبر القرون** ، ص . 43 — 44

2) صبحي الصالح ، **دراسات في فقه اللغة** ص 109 — 116

3) ابن جني . **الخصائص** ج ا ص 411

4) السيوطي ، **المزهر** ج ا ص 222 — 224

(5) Z. Abdel-Malek. « The Influence of Diglossia on the Novels of Yusif Al-Sibâ'i » P. 132.

6) مازن المبارك **نحو وعي لغوي** ص. 41 — 44

7) علي ناصيف **من قضايا اللغة والنحو** ص 49

8) طه حسين **مستقبل الثقافة في مصر** ص . 236

9) مصطفى فهمي **النظرية العامة للقومية العربية** ص 150

جدوى وهى تميل الى التبسيط فى النحو اذ تلغى الحركات وتقل الاوزان والتمييزات ، ولكن هناك اسسا امتن من ذلك للحكم على العامية وتفضيل الفصحى. وبالرغم من هذه الاتجاهات السلبية نحو العامية فى العالم العربى فان العامية تقوم بوظائف جديدة فى عالمنا ربما تستمر ولردهة من الزمن وذلك لارتفاع نسبة الامية . يقول صالح الطعمة فى كتاب نشرته جامعة هارفارد فى امريكا واصفا هذه الوظائف (1) :

« ان تطور اشكال جديدة من الادب والدراما والاستعمال المكثف لوسائل الاعلام قد زود العامية بوظائف مهمة فى بعض الحالات كما فى الفنون المحلية كالاغانى والسينما فانها تخدم كلغة اساسية . وفى اشياء اخرى كالدراما والقصص فقد اخذ استعمال العامية يزداد ويركز عليه وخاصة فى الاعمال الموجهة للمشكلات الاجتماعية » .

لا شك فى ان العامية تميل الى التبسيط وخاصة فى القواعد اذ على سبيل المثال تختفى صيغة المثنى تقريبا ، تنقص الضمائر ، تختفى معظم اوزان الجمع وصيغ الافعال ، تختفى حركات الاعراب ... الخ . لكن هذا التبسيط هو ولاشك على حساب القدرة على التعبير ويتناسب طرديا مع تضييق الآفاق لاتوسيعها. كذلك فان العامية قاصرة عن أن تفي بالتعبير عن الامور الثقافية والفكرية والفلسفية ، وعلى المتكلم فى هذه المواضيع أن يعود الى الفصحى لبمزجها بتراكيب العامية ان اراد التعبير عما يقول بشيء من الدقة.

هناك بين هذين النمطين الفصحى والعامية . نمطان آخران من ابتداع دارسي العربية والمبتمين بالظواهر اللغوية فى الغرب وهما ما يسمى بعربية المثقفين Educated Arabic والعربية الحديثة Modern Standard Arabic (M.S.A.) .

3) عربية المثقفين Educated Arabic . عربية المثقفين اسم جديد لتمازج العاميات الاقليمية وداخل الاقليم الواحد مع الفصحى فى كلام المتعلمين من اقليم عربى واحد او من اقطار عربية مختلفة حينما يجتمعون . وقد قام بدراسة تحليلية لهذا النمط عدة باحثين اخص بالذكر منهم ثلاث دراسات قام بها حاييم بلانك (2) عندما حلل كلام اربعة من الطلبة العرب القادمين الى امريكا (1960) ، وشعبان (3) الذى حلل كلام ستة من الطلبة العرب (لبنانيان ، سعودى ، عراقى ، عمانى وتونسى) وزغلول (4) الذى حلل كلام عشرة من الطلبة العرب (سعودى، مصريان ، عراقى ، جزائرى ، اردنيان ، سودانى ، عماني ، ومغربي) .

اتفقت نتائج هذه الدراسات الثلاث على ان ترتيب الكلام يبقى عاميا وان النحو والصرف يبقيان عاميان وان هناك ميلا لاختيار الالفاظ من الفصحى ، كما ان هناك ميلا لاستعمال اصوات الفصحى وخاصة الصحيحة منها . لكن هناك انتقالا للاصطلاح الاجنبى فى كثير من الاحيان . ان هذا النمط خليط من العامية وبعض جوانب الفصحى لكنه يبعد عن الفصحى كثيرا ، يقول بلانك مثلا فى ختام دراسته :

« انه الاستثناء وليس القاعدة ان تجد اى كلام متواصل فى اى من الانماط المشار اليها (الفصحى او العامية) ، اذ يميل المتكلم الى التنقل من نمط لآخر وفى داخل الجملة الواحدة » .

ويستنتج شعبان : « تبقى عربية المثقفين بغالبيتها تحت سيطرة العاميات وخصائصها خاصة فى مجالي الاصوات والقواعد ، والركون الى الفصحى يعتمد على الموضوع المثار وبلد المتكلم ومعرفته باللهجات الاخرى ».

4) العربية الحديثة او ما يسمى فى الغرب Modern Standard Arabic (MSA) أو Neo-Classical Arabic.

---

(1) S. Al-Toma. **A Comparative Study of Classical and Iraqi Arabic**, P. 114.
(2) H. Blank. « Stylistiç variation in Spoken Arabic : a Sample of Interdialected Conversation,» 1960
(3) K. Shaaban. « Code Switching in the Speech of Educated Arabs, » 1978.
(4) M. Zughoul « Diglossia in Arabic : Investigating Solutions », 1979.

لقد تطور هذا النمط من العربية بنمو الصحافة وتطورها وانتشار وسائل الاعلام ، ويقصد به تلك النوعية من العربية التى تكتب بها الصحف وتذاع بها نشرات الاخبار والبرامج الثقافية فى الاذاعة والتلفاز . يختلف هذا النمط قليلا عن الفصحى ، وما هو الا تبسيط للفصحى من بعض الجوانب وذلك ليكون الكلام مفهوما لأي عربى يجيد القراءة والكتابة . وهذا كذلك ما سماه الادباء العرب قبل حين « لغة الجرايد » . للمثقف العربى ليس هناك فروق واضحة اذ ما تزال اصوات الفصحى نفسها تستعمل ، قواعد النحو والصرف نفسها كذلك .

والفرق الوحيد الذى يستحق الذكر هو الميل الى استخدام الشائع من الالفاظ والبعد عن الاغراب ، والمرونة الزائدة احيانا تجاه استعمال العبارات المترجمة (مثل يلعب دورا هاما ، فى الجانب الآخر : الخ) والالفاظ المستعارة من اللغات الاجنبية .

ان مفهوم ما يسمى « بالعربية الحديثة » غريب عن العالم العربى والكل يفترض أن هذا النمط هو الفصحى بعينها . ومن غير المتخصصين الذين تلقوا تعليمهم فى بريطانيا او امريكا ، هناك القليل ممن يعلمون بوجود هذا النمط أن وجد فعلا . بالرغم من ذلك فان بعض الباحثين قد بالغ فى تقدير هذا النمط خطوة نحو تحديث العربية وتسهيلها . وآراء الباحث جارسلوف ستيتكفيتش (1) التى ضمنها فى دراسة من أوسع الدراسات عن العربية الحديثة والتى نشرت فى كتاب فى الانجليزية جديرة بالعرض والتمحيص لاهميتها وحتى خطورتها فى بعض الاحيان، يقول ستيتكفيتش فى خلاصة كتابه عن هذا النمط من العربية (2) :

« ان المفهوم الخادع بأن هذا النمط من العربية غير معلم لوجود . اذ نادرا ما سيكون القاموس ذا فائدة فى تتبع آثار الابتعاد عن الفصحى . والتوسعات فى المعنى الواردة واسعة وشفافة لدرجة انها لا تعيق استيعابا مرضيا . توسيع الصفات يدعمه السياق التشبيهى ، والانطباع العام هو أن تلك لغة واضحة ودقيقة تفسر بعضها . لا يتردد الشعراء والكتاب فى استعمالها . نادرا ما يركز النقاد على خصائصها . وفى الحقيقة فان الانطباع المتزايد هو انه لا يبدو أن هناك ما يميز ما يختص بهذا النمط . وهى ليست « بلغة الصخفيين » كما كانت تسمى قبل خمسين عاما. كذلك فانها ليست اختراعا جديدا أو صرعة . ورائحة الغفلية (اغفال اسم المؤلف) المخفية والوضوح الطبيعى قد غمرت المصطلح المستعار اسلوبيا والتى نادرا ما يميزأي انسان بأنها غريبة خارجة عن العربية الفصحى . وفى الوقت نفسه فان قليلا من مستعملى هذا المصطلح العربى الجديد يعلمون مدى قربهم من آفاق لغوية جديدة يستطيع المترجمون الآن دون عناء؛ وبسهولة فياضة أن ينقلوا العربية المعاصرة للغات الحديثة الاخرى والعكس بالعكس .

كذلك تظهر المحبة والالفة اللغوية على التباين الذى ساد سابقا . كذلك يجد العرب اللغات الاجنبية اسهل والآخرون يرون العربية اسهل كذلك . »

ويمضى ستيتكيفتش بعيدا فى استنتاجاته ليصل الى نتيجة ان قواعد اللغة العربية الحديثة لم تبدأ بتبعيد وحسنب عن العربية الفصحى ، لكنها بدأت تتسبب فى غربنة ديناميكية التفكير فى العربية . وان العربية كلغة قد تعدت حدودها من الوجهة السلالية من لغة سامية لتدخل مجموعة اللغات الاوربية الحديثة الفوق سلالية . ونتيجة ستيتكيفتش التى ينهى بها كتابه جديرة بالتمحيص اللغوى فى العالم العربى. يقول ستيتكيفيتش : (3) .

« من خلال مفرداتها (العربية) الجديدة ، وسياق صقل التفكير الذى تقوم به المفردات واخيرا وليس آخرا من خلال تلك الثروة العظيمة والتنويع لتلك النماذج الاصطلاحية المستوعبة واشباه الجمل الادبية المستعارة فان العربية الحديثة قد تعدت حدود سلالتها النسبية وانها قد دخلت بصلة الفة مضمارا لغويا حضاريا مع

---

(1) J. Stetke vych. **The Modern Arabic Literary Language : Lexical and Stylistic Development**, 1970.

2) نفس المصدر ص : 114

3) المصدر نفسه : ص 119 — 120

عائلة جديدة فوق سلالية من اللغات الاوربية الحديثة. اما عملية استيعابها في الغرب فانها بالطبع للتو بدات لكن تهيآتها ثابتة وخطاها بالطبع سريعة . تستمر العربية الحديثة من ناحية صرفها لغة سامية والى حد بعيد ما زالت الفصحى في هذا المجال ، لكن بقاءها ضمن هذا التعريف سيكون غلطة . فجل تركيب نحوها الآن يتمشى مع ديناميكية تفكير غير سامية الى حد بعيد. فالعقل العربي الحديث يتحول الى فرع للعقل الغربي الحديث ويحتفظ بالقليل القليل من صلابة ديناميكية التفكير السامية . والعقل العربي الحديث يتحول الى استمرار للعقل الغربي ولهذا فانه يحتفظ بأقل وأقل من عادات التفكير السامية المتصلبة وكذلك بأقل وأقل من قوالب الكلاسيكية والخصائص التركيبية وان روحا لغوية ثقافية حديثة مشتركة تتطور الآن لتكون العامل المعرف للعربية الحديثة » .

لا شك في ان ستيتكيتش يبالغ في نتائجه بتأثير اللغات الاوروبية على العقل والتفكير العربي من خلال التأثير اللغوي ، لكن تلك الاستنتاجات لا تخلو من الكثير من الصحة . يعارض هذا الراي لستيتكيتش نجم بزرجان استاذ الادب العربي والفلسفة السابق في جامعة تكساس بأمريكا في مقالة له اذ يقول بأن هناك تيارا جديدا في الكتابة العربية وهو يمثل الميل الى الكتابة بأسلوب مشابه لاساليب الكتاب العرب في الفترة الوسطى . ويستشهد بزرجان بكتابي سركيس وكرم كأمثلة لهذا التيار . كذلك يقول بزرجان بانه رغم التغييرات التي اعترت العربية الحديثة في نحوها واسلوبها فهي استمرار للفصحى ولذلك فانها «تشهد بانتصار دعاة الفصحى على خصومهم ابطال العامية في المعركة التي استعرت في نهاية القرن التاسع عشر واستمرت للعقود الثلاثة الاولى من القرن الحالي » . (1)

ان الجانب التاريخي لقضية الازدواجية يقدم بعض العمق لتفهم تلك المشكلة وجوانبها المختلفة . كذلك فان هذا الجانب يقدم تفسيرا للكثير من الدوافع لبعض الدعوات في العالم العربي . وفيما يلي سأعرض لما اسميته مراحل ثلاثا لهذا التطور التاريخي .

1) مرحلة الاهتمام الغربي

كان أول من ابرز الفصل بين العامية والفصحى بعض المدارس الاوروبية التي اسست برامج لتدريس العامية فيها .

لقد بدأت تلك البرامج في ايطاليا عام 1727 — مدرسة نابولي للدراسات الشرقية — وفي النمسا عام 1754 وفي فرنسا عام 1795 وفي روسيا عام 1814 وفي بريطانيا عام 1856 ، وقد استخدمت تلك المدارس منبرا لتدريس العامية وكتابة قواعدها . اما الاوروبيون الذين عاشوا في العالم العربي وهم موظفو الاستعمار البريطاني والفرنسي في البلاد العربية فلم يخفوا كيدهم للفصحى أبدا ، وقد أبدوا اعجابهم بالعامية وقاموا بحملات صليبية لاظهارها واحلالها محل الفصحى . من اشهر هؤلاء مهندس الري البريطاني وليم ولكوكس في سلسلة من المحاضرات والمقالات نشر بعض منها في مجلة الازهر ، شن ولكوكس هجوما لا مثيل له على الفصحى في اشهر اثنين من محاضراته واحدة بالعربية « لماذا لم يكن للمصريين قوة الاختراع » والثانية بالانجليزية عنوانها « سوريا ومصر وشمال افريقيا ومالطا يتكلمون الترطاجية لا العربية » عزا فيهما ولكوكس اسباب تأخر المصريين ونقص الاختراعات عندهم وقلة الاصالة في تفكيرهم الى استعمال الفصحى التي نعتها بأنها لغة ميتة .

أما القاضي ويلمور فقد جدد الدعوة لتبني العامية وكتابتها بالحروف اللاتينية . وتعاقب كثيرون بعد هؤلاء (2) .

2) مرحلة الاقليمية ردا على القومية العربية:

بعد ثورة عام 1919 في مصر ، برزت مجموعة من الكتاب يدعون لما نسميه الفرعونية المصرية أو الاقليمية الضيقة ولم يكن الاستعمار البريطاني مشجعا للفكرة وحسب بل متبنيا لها . وقد علق محمد

---

(1) N. Bezirgan « Language and Reality in The Arab World » P. 24.

2) لمزيد من التفصيلات راجع كتاب نفوسه سعيد **تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر** ، فهو كتاب شامل وموثق في هذا المجال .

حسين على هذه الحركة بأنها حركة استعمارية انفصالية كان وراءها الانجليز (1) .

وقد دعت هذه الحركة الى « مصرنة » اللغة والفن والادب واستعمال العامية المصرية كوسط لهذه الاشكال الادبية . في هذه الفترة دعا أحمد لطفي السيد الى ما اسماه « التسامح اللغوي » وما قصده بذلك هو اصلاح الفصحى باستعمال الفاظ من العامية بالاضافة الى الالفاظ المستعارة الاخرى في الكتابة (2) . أما محمد تيمور وسلامة موسى فقد دعيا الى النهوض بالعامية لتكون لغة قومية . وفي تلك الاثناء وفي عام 1943 فاجأ عبد العزيز فهمي مجمع اللغة العربية بالقاهرة باقتراحه ان تكتب العربية بأحرف لاتينية ، لكن هذه الدعوة التي سبقه اليها سلامة موسى ماتت بموته .

ومما يثير الاهتمام هنا هو ان أية دعوة انفصالية اقليمية تتسلح بسلاح تجزئة اللغة العربية بالدعوة الى استعمال العامية . وعكس ذلك أي الدعوات الاتحادية التي يهمها أن تبقى على وفاق تام مع العروبة والاسلام فاننا دائما نجد الدعوة الى وحدة اللغة احد اهم أركان الدعوة . ويصدق ذلك على أجزاء كبيرة حاول الاستعمار ان يقتطعها كليا من الوطن الام وتعرضت لجميع صنوف الاضطهاد الفكري واللغوي والحضاري بقصد الضم الى الدول الاستعمارية ، الا وهي اقطار شمال افريقيا . وهذا تأييد مطلق للفرضية القائلة ان أولئك الذين يطمحون للانفصال يدعون للتجزئة وأولئك الذين يدعون للوحدة والتماسك يتمسكون بالعربية ووحدتها . يقول سجنه في بحث الوضع اللغوي في شمال افريقيا (3) :

« كان اهتمام الشمال الافريقي بالعربية يتركز على الاعتراف بها كلغة للشعب والدولة ودون تأكيد على عمليتها كأداة للاتصال . وفي الحقيقة فان عددا من قواد الحركات الاستقلالية كان أكثر طلاقة وقدرة في التعبير في الفرنسية لا بالعربية — وهذا الوضع كان محرجا لبعضهم . وقد قام احمد بن بلا رئيس الوزراء السابق للجزائر بتأمين مدرس خصوصي في العربية حتى يستطيع استعمالها في جزائر مستقلة »

لقد توقعت دول شمال افريقيا العربية ان تواجه صعوبات في التعريب وخاصة الجزائر وتونس والمغرب لكن الجهود تضافرت وما زالت تتضافر وبكل حيوية واندفاع نحو التعريب الشامل ، يقول شجنه (4) في هذا الصدد :

« لم تضعف جهود الشمال الافريقي في سبيل تحصيل تعريب تام وكامل . فحال حصول تلك الدول على الاستقلال اعيد تأسيس العربية كلغة رسمية وشعبية واتبعت جميع الطرق لاعادة حيوية اللغة بتأسيس مدارس متعددة وبنشر الدوريات والكتب . وفي السنوات القليلة الماضية اصبح الشماليون الافريقيون واعين للمشكلة اللغوية ودابوا في المحاولة لايجاد الطرق لحلها كما يثبت ذلك المؤتمر العربي العام المنعقد في الرباط عام 1961 » .

وعلى النقيض من ذلك فان الطريق الى «غربنة» العرب تبدأ بكتابة لهجاتهم وتطويرها أو ما يسمى « النهوض بها » الى لغات قومية . ومن أروع الامثلة لمثل هذا التحول هو مثال الجماعات الناطقة بالعربية في الاتحاد السوفييتي . فباسم جعل العربية لغة ديمقراطية كتبها السوفييت بأحرف سيرلية (العامية طبعا) وبهذا انجز السوفيت كما تقول باتيسون في كتابها « تشعيب هذه المجموعات وقطعها تماما عن القومية العربية ونحن نصيب من التراث الثقافي القديم والجديد » (5) .

3) مرحلة الوعي العربي :

وتبدأ هذه المرحلة بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية اذ بدأت الدول العربية تأخذ استقلالها ولو شكليا من الدول المستعمرة لقد واجهت تلك الدول مشكلات جمة منها مشكلة ازدواجية اللغة لملائمتها المباشرة بالتعليم . وفي هذه الفترة أعيد طرح بعض المقترحات القديمة بالدعوة الى العامية . ثم لبست

---

1) محمد حسين . **الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر** ص . 124 — 144
2) احمد لطفي السيد . **المنتخبات** ص . 246 — 250
(3) A. Shejne **The Arabic Language : Its Role in History**, P. 109.
4) نفس المصدر ص . 109
(5) M. Bateson. **Arabic Language Handbook**

هذه الدعوة ثيابا جديدة ، فطرح انيس (1) فى عام 1960 تعميم احدى اللهجات العربية ـ المصرية ـ كلغة قومية، وكذلك طرح فريحة (2) عام 1955 نمطا عاما يتكلمه المثقفون العرب لكن الاهتمام بدأ ينصب على ما يسمى اصلاح اللغة وتيسير قواعدها . وفى هذه الفترة ايضا نشطت المجامع اللغوية العربية واجتمعت فى دمشق عام 1957 وكان هناك شبه اجماع على رفض الدعوة الى العامية رفضا باتا واتخذت التوصيات لتسهيل العربية والرقى بها ونشرت تلك التوصيات فى حينه فى مجلة مجمع اللغة العربى السورى (3) .

استطيع القول وبكل ثقة أن الدعوة الى العامية الآن لا تقابل بأكثر من الاستهزاء فى الوسط الثقافى العربى ، ولا أظن أن هناك عربيا يمتلك شيئا من الولاء للعروبة أو الاسلام أو كليهما يتفوه بتلك الدعوة وذلك لخطرها على الامة العربية ووحدتها ووحدة تراثها واستمرارية تأثير ذلك التراث . وان كانت الدعوة قد تلبس اثوابا جديدة كثوب اللغة الوسطى أو عربية المثقفين فان عمقها معروف وبالتالى لا تختلف عن العامية شيئا وقد أيقن المثقف العربى ذلك .

والمبدأ العام هو ان كل ما يعارض لغة القرآن وتراث العرب فهو موجه لضرب وحدتهم والتشكيك فى هويتهم . ولو نظرنا فى الدوافع النفسية للدعاة الى العامية والكتابة باللاتينية لادركنا اى نوع من الغيرة يدفعهم للسير فى هذا الاتجاه . دعنا ننظر لبعض ماكتب سلامة موسى مثلا تبريرا للدعوة للكتابة بالاحرف اللاتينية ، وهذا مقتطف قصير من مقالة نشرتها مجلة شؤون الشرق الاوسط فى الانجليزية . يقول سلامة :

« لن يفاجأ الكاتب إن طالب العرب فى يوم من الايام بالاحرف اللاتينية لكتابة لغتهم . هذا الانتقال ، ان تحقق فلن يؤثر فى حياتنا الثقافية والادبية وحسب، ولكنه سيكون علامة لتغير فى اتجاهاتنا النفسية . سنرحب بالحضارة الصناعية الحديثة بقيمها الاخلاقية والثقافية والروحية . والمشاكل التى تبدو الآن صعبة الحل ستكون اسهل . لن نرفض استعمال الكلمات الاوربية لن نتعلق حينها بتراثنا الماضى وكأنه الدعم الوحيد لحياتنا ... » (4)

هل نحن بحاجة لقيم واخلاق وثقافة وروح الحضارة الصناعية الحديثة ؟ هل غير اليابانيون لغتهم او دينهم او مثل اخلاقهم عندما اصبحوا ينافسون امريكا صناعيا ؟ حتى لو كنا بحاجة لذلك فهل يتم ذلك ان غيرنا الطريقة التى تكتب بها لغتنا ؟ انه تفكير لاينقصه شىء من مهارة اخفاء دوافع اخرى لا يجوز المجاهرة بها .

ان هناك مما اثبتته النظرية اللغوية الحديثة ما يجعلنا نتمسك بفصيح لغتنا بتضييق الشقة ما بينها وبين عامياتنا ، كذلك هناك فى الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة ما يحتم علينا ان نتمسك بالفصيح والا كتب لنا التفرق والضياع ، وذلك كله بجانب العوامل الدينية والقومية . وفى هذا الجزء من هذا البحث سأبحث العاملين السابقين وانعكاساتهما على الوضع اللغوى العربى .

لا شك فى ان اللغة الواحدة ان أمكن ايجاد مثل تلك اللغة للكتابة والحديث فى البيت والشارع والمدرسة والمكتب لهو وضع مثالى، لكن هل يمكن ذلك ؟ ان ذلك شبه مستحيل ، اذ ان كل لغة فى العالم تواجه وضعا ازدواجيا بشكل او بآخر . لنضرب مثلا فى الانجليزية هل يتكلم الامريكى فى تكساس بالطريقة نفسها التى يتكلم بها الامريكى فى ماشوستس مثلا ؟ او الطريقة التى يتكلم بها الامريكى فى اوهايو او شيكاغو ؟ ماذا نسمى كلام السود فى اميركا مقارنة بالمستوى الكلامى العام للرجل الابيض الحاكم ؟ ماذا نسمى كلام الكوكنى والسكوتلانديين مقارنة بكلام الملكة فى بريطانيا ؟ اليس ذلك اشبه بالفصحى والعامية ؟ الا يستطيع الامريكى معرفة مواطنه من اى بقعة فى اميركا عندما يتكلم ؟ ان ذلك يحصل فى امريكا البلد الذى تستطيع فيه أن تتكلم من الساحل الشرقى الى الساحل الغربى ببضع ثوان ، وان تراقب نفس البرنامج التلفزيونى الذى يبث للشعب الامريكى كاملا وتنتقل أينما شئت دون سؤال

---

1) ابراهيم انيس . **مستقبل اللغة العربية** 1960

2) انيس فريحة : **نحو عربية ميسرة** ، 1955

3) مجلة المجمع العربى مجلد 32 . عددا . 1957

(4) S. Moussa. « Arabic Language Problems » P. 44.

او جواب او هوية او جواز سفر او تأشيرة او تصريح هل يستطيع الابيض من الطبقة الوسطى فى أمريكا ان يفهم مواطنه الاسود اكثر ما يستطيع العربى من اليمن ان يفهم العربى فى تونس ؟ ان كلام الملكة فى بريطانيا وكلام الرجل الابيض البروتستانتى الانجلو سكسونى فى امريكا ليساوى مثيل للفصحى فى لغتنا مع فارق العاملين الدينى والقومى . وما اللغة الفرنسية التى ينطق بها التلفاز والمدرس فى الجامعة والنخبة المثقفة من الفرنسيين الا اللهجة الباريسية التى فرضتها الثورة الفرنسية اثر بيان ثورى واتخذت قرارا باستعمالها والقضاء على العاميات التى كانت تسمى « الباتواز » ، لكن هل انتهت « الباتواز » ؟ لا ؛ لقد بقيت وستبقى لكن المثقف الفرنسى يأبى التحدث بها ليتحدث باللهجة الباريسية عنوان الثقافة الفرنسية.

فالجانب الازدواجى طبيعى اذن وباية لغة ، وان كان هناك اى فرق بين ازدواجية اللغة العربية واللغات العالمية الاخرى كالانجليزية والفرنسية ؛ فانه فرق كمي اذ ربما كانت الفجوة ومازالت اضيق بين الفصحى والعامية فى تلك اللغات مما هى فى العربية وما ذلك الا بسبب عمل القوانين الطبيعية للتغير اللغوى.

هذه طبيعة اللغة وقوانين التغير اللغوى وان ذلك يسير لمصلحة العربية ؛ فهذا التغير قد يؤدى الى خلق لغة جديدة وتتغير تلك اللغة بفعل عوامل متعددة لتنشأ لغة جديدة ؛ جذورها فى اللغة القديمة لكن فهمها اصعب لغير المتخصصين . وهذا كان من الممكن ان يحصل للعربية لولا العوامل الدينية القومية السالفة الذكر التى احتفظت بالفصحى وبوحدة اللغة . وهذا الاحتفاظ قد زاد اثراءها وسعة ثقافتها ودوام عطائها للوحدة وهذا جانب تحسدنا عليه الشعوب الاخرى ولأُوَضِّحَ هذه النقطة دعني اسأل هذا السؤال :

تخيل ماذا كان يمكن ان يحصل لو رفعنا اللهجات لمستوى اللغات القومية وكتبناها ؟ وللاجابة عن هذا السؤال أود ان استشهد بعبرة تاريخية يجب ان تبقى فى اذهاننا كلما طلع صوت ناشز ينادى بالعامية فى وطننا العربى.

ومثالي هو اللغة اللاتينية واللغات الرومانية Romance Languages وكانت اللاتينية هى لغة الادب والعلم والثقافة والدين فى اوربا فى اوج الامبراطورية الرومانية ، ومن لم يلق نصيبا من العلم فى هذه اللغة يبقى علمه ناقصا بالتغاضى عن حقل تخصصه او وظيفته او مكانته الاجتماعية . وبمرور الزمن تطور نمط آخر من اللاتينية يتكلمه العامة وعساكر الرومان فأصبح الوضع موازيا للعربية اذ كان هناك اللاتينية الفصحى Classical Latin والعامية المسماة Vulgar Latin (والاسم لا يعنى العامية فقط بل يتضمن معنى السوقية وعدم الصقل) وبالرغم من أن اللاتينية ذات أثر كبير دينيا الا انها لاتملك قدسية العربية فى نفوس الناطقين بها ، كما لا تلعب دور العربية بوحدة متكلميها ، لذا ترك الامر لتطورها الطبيعى . وباختلاط جنود الرومان ، متكلمى العامية بالشعوب الاخرى الذين يتحدثون لغات مختلفة ، او لهجات من لغات مختلفة تطور من العامية — وهذا نسق طبيعى — لغات جديدة تعتمد على الجذور اللاتينية كأساس والمؤثرات اللغوية الاخرى كعوامل مكونة . وهكذا كانت ولادة الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والطليانية والرومانية . وان قل الضبط عن اى من تلك اللغات واعتمادا على دور اى منها قوميا ودينيا فلا يستبعد ، بل من الطبيعى أن تنشأ عنها لغات جديدة . وهذا حتما ما كان سيحصل لاى لهجة عربية لو كتبت او اصبحت لغة قومية .

فى الحقيقة لقد حصل ذلك التحول باحدى اللهجات العربية وهو مثال حى امام اعيننا وقلما نفكر بجديته وعقبى نتائجه ، الا وهو مثال مالطا . فقد كان اهل مالطا يتكلمون العربية ونظرا لانسلاخها دينيا وقوميا عن جسم العالم العربى فقد كتبت هذه اللغة بالاحرف اللاتينية وفتح باب الاقتراض على مصراعيه من اللغات الاوربية وخاصة الطليانية والانجليزية وتطورت هذه اللهجة العربية الى ما يسمى اليوم اللغة المالطية ، التى تتحدى اى عربى أن يفهمها رغم ان جل الكلام فيها عربى الجذور . كيف نتعامى عن مثل هذه النتائج الحتمية؟ هل يعرف دعاة العامية امثلة من هذا النوع ؟ هل درسوا او اطلعوا على النظرية اللغوية والتغير اللغوى قبل ان ينصبوا انفسهم مصلحين ؟ انى استبعد ذلك.

اذا كان وضع الازدواجية طبيعيا فى معظم لغات العالم ، فلماذا يكون هذا الوضع « غير طبيعى » او عائقا للتقدم فى بلادنا العربية ؟ باعتقادى ان ذلك يعود لسببين رئيسين : اولهما كما أوضحت سالفا فان

الاختلاف ازدواجيا بين اللغات كمي ، وقد شاعت العوامل التاريخية السالفة الذكر أن تزيد الفجوة بين الفصحى واللهجات حتى أصبحتا وكأنهما لغتان مختلفتان في أعين كثير من الباحثين ومع المبالغة بذلك الاختلاف أصبح الكثير يعتقد أنهما مختلفتان فعلا . وثانيهما أنه رغم استقلالنا كدول وتبنى اللغة العربية رسميا وشعبيا الا أن اعتمادنا على اللغات الاجنبية وفي القطاعات المختلفة مازال واسعا . وسأعرض لهذين السببين بمزيد من التفصيل :

لقد بالغ كثير من الذين كتبوا عن العربية في الغرب بالاختلافات بين الفصحى والعامية حتى أن كثيرا من التعميمات التي نشرها بعض باحثيهم المحترمين علميا تثير الاستغراب بل تشكك بنوايا ومقدرة هؤلاء الباحثين .

فاللغوي الاجتماعي جمبرز (1) على سبيل المثال يساوي بين دور العربية الفصحى في المجتمع العربي ودور اللاتينية في أوربا العصور الوسطى والسينسكريتية في جنوب آسيا ويعطي اللغات الثلاث — بما فيها العربية « كمثال للغات مميزة ليس لها علاقة بالكلام الشعبي (اللهجات) ... وان الطقوس المفصلة والمراسيم التي تحيط استعمالها لا تكتسب الا بعد سنوات عديدة من التدريب الخاص. التعليم بها متوفر فقط بواسطة المدرسين الخاصين ومحدود لاصحاب الامتيازات القلائل الذين يملكون الجاه الاجتماعي والموارد المالية نتيجة ذلك ، فمعرفة تلك اللغات في المجتمعات التقليدية حصر لجماعة مختارة محدودة نسبيا » .

هل يصدق هذا التعميم على العربية كما يصدق على اللغتين الاخريين ؟ هل يدل هذا التعميم على أي اطلاع على العربية ؟ دعنا نقارنه بما يقول اللغوي الامريكي مايكل بريم (2) الذي درس العربية وأجادها وكتب أطروحته عن صوتياتها كما سجلته أمهات الكتب العربية ، يقول بريم :

ان المدعى بأن الفصحى نمط اصطناعي (بمعنى انه غير طبيعي من ناحية أن الطفل لا يتعلمه كلغة أولى) فانما يكشف عن جهله . فبالفعل ان الاختلافات التي تفرق بين الفصحى والعاميات المختلفة قد بولغ فيها . في الحقيقة ، ان المشكلة الحقيقية الصعبة الوحيدة التي يواجهها العربي في الفصحى هي مشكلة تزويد الحركات في أواخر الكلمات للاسماء ونهايات الافعال لانه من المفهوم أن ليس من تلك الحركات شيء في لهجته.

كيف بنا أن نرد الاعتبار الى فصيح لغتنا ؟ وكيف بنا ان نضيق الفجوة بين فصيحنا وعامياتنا وبذلك تقترب عامياتنا من بعضها ؟ في الجزء التالي من هذا البحث سأجيب ولو جزئيا عن هذين السؤالين وأتركهما مفتوحين للاجتهاد لكل من دعاه واجبه للنهوض بالعربية.

لاريب في ان أهم مسببات اتساع الفجوة بين العامية والفصحى بل من أهم أسباب ازدهار العامية هو ارتفاع نسبة الأمية في مجتمع ما . والرقم في مجتمعنا العربي معيب اذ يقارب من ، ان لم يتجاوز 70٪ ويعكس ما أشار اليه بعض الباحثين أمثال ألن كي (3) ووكسلر (4) ، لا تستطيع أن تلوم ارتفاع نسبة الامية في الوطن العربي على الازدواجية ، والتأثير العكسي صحيح حيث أن ارتفاع نسبة الامية زاد الفجوة اتساعا بين الفصحى والعامية وليس بأي حال نتيجة له . ان هذه النسبة العالية في عالمنا العربي هي نتيجة مباشرة لخمسة قرون من الاهمال التركي تبعها فترة من الاستغلال الاستعماري البشع كان هم المستعمر فيه تجهيل الشعوب العربية . لكنه بعد الاستقلال ، وبهذه الواردات المادية التي تفوق تخيل الانسان فانه لم يعد هناك مبرر لمثل هذا الرقم المعيب من الاميين في العالم العربي . وعلى حكوماتنا العربية ان تبدأ بحملات واسعة النطاق لازالة الامية في وطننا من شرقه الى غربه . وجدير بالذكر ان من انجح الحملات التي بدأت فعلا هي تلك التي تقوم بها الحكومة العراقية حاليا والتي يظن انها ستتغلب انجح الحملات العالمية لازالة الأمية كالحملة في كوبا وتركيا ، ومن المنتظر أن يكون عطاء الدول المنتجة للنفط أكبر مما هو عليه الآن في هذا السبيل وجميع الدول العربية بأمس الحاجة لتلك الحملات ، لكن أحوج تلك البلاد الآن هي السعودية ، اليمن ، عمان دول الخليج ، السودان والمغرب .

---

(1) J. Gumperz « The Speech Community », P. 222.
(2) M. Brame. Arabic Phonology P. 1
(3) A. Kaye. « Modern Standard Arabic and the Colloquials ».
(4) Wexler. « Diglossia, Language Standardization and Purism ».

منطلقنا الثانى يجب ان يكون المدرسة العربية . لن نحقق اى تحسن فى هذا السبيل الا اذا التزم المدرس العربى بلغته ، والتزامه يحتم عليه ان يستعمل الفصحى فى محاضراته وان يشجع تلاميذه للسؤال والمناقشة بالفصحى ان كان الدرس دينا او فيزياء او رياضيات او جغرافيا ، كذلك يجب التركيز على المراحل الاولى من تدريس الفصحى وآدابها وذلك بتدريب معلمين اكفاء لتدريس مختلف المهارات اللغوية من استماع وكلام وقراءة وكتابة . ولايتسنى ذلك الا اذا تعاون البيت مع المدرسة ، والمؤلف مع المدرسة والمجمع اللغوى مع المدرسة .

كما انه لا يكفى لعمل ذلك ان تصدر القرارات ، بل يجب ان تراقب الهيئات المعنية مختلف مراحل تطبيقها وتنفيذها .

لا يقل عمل اجهزة الاعلام اهمية عن المدرسة والبيت . لا نريد ان نحرم قطاع عامة الناس من الفهم على تلك الاجهزة ، لكننا نطلب بأن يقل استعمال العامية فى الصحف والمجلات وان توجه لعامة الناس برامج بالاذاعة ، والتلفزة بلغة سليمة سهلة ، وكلما قل استعمال الكلمة العامية فى تلك الاجهزة ، وكثر استعمال الفصيح اعطينا مجالا اوسع لانتشار الفصيح واضمحلال العامية على المدى البعيد .

اما المجامع اللغوية العربية فعليها بالاضافة الى نشاطها فى التعريب وخاصة تعريب المصطلحات ان تراقب استعمالها فى اجهزة الاعلام والمدارس والجامعات وان تستمر بتفاعلها المباشر مع المجتمع ومع المؤسسات التعليمية فى البلاد العربية لتكون مراكز تخطيط لغوى لمجتمعنا ومؤسساتنا . وان تستمر فى مَدِّ يَدِ العون بتقديم المشورة الى وزارة التعليم ومختلف الهيئات التى تطلبها .

ان ماقدمته تلك المجامع يستحق التقدير ، لكن المزيد من العمل مطلوب . نقطة اخيرة ، فان زيادة التنسيق بين هذه المجامع يجعلنا نتجنب إعادة بعض الابحاث ويزيد من فعاليتها بشكل عام .

اما تسهيل الاتصال ، وبمعناه المطلق فى العالم العربى فليس مدعاة لوحدتنا العربية وحسب بل مدعاة لوحدتنا بمعناها السياسى والاجتماعى . وتسهيل الاتصال يتم بتطوير اجهزة الاتصال الحديثة من الشبكات التلفزيونية الى البث التلفازى والاذاعى الموجه للعالم العربى بأسره ، كذلك بتسهيل تنقل المواطن العربى من بلد لآخر وفتح ابواب التبادل ثقافيا واقتصاديا مفتوحة على مصراعيها ، هدف اللغة هو الاتصال ووحدة متكلميها تتم بتسهيل اتصالهم ببعض .

من اهم الاسباب التى ادت الىازدهار تعلم اللغات الاجنبية فى العالم العربى وبشكل خاص الانجليزية والفرنسية وهو لا شك يتعلق بفرص العمل اذ لسوء حظ المواطن العربى ، فانه يصعب عليه وحتى فى عقر داره ان يجد عملا جيدا خاصة فى القطاع الخاص اذ لم يكن يجيد الانجليزية او الفرنسية لماذا نجعل لتلك اللغات تلك القيمة على لغتنا طيعين مختارين ؟ لماذا نجعل تلك اللغات علامة الرفعة الاقتصادية والاجتماعية وتؤثر بذلك باتجاهات أبنائنا النفسية لتلك اللغات وللغتنا بالمقارنة بها ؟ فنجعل العربية عاملا اساسيا فى التوظيف والترقية يولد دوافع جديدة بالاقبال على تعلمها واجادتها ويخلق تأثيرات نفسية جديدة نحن احوج الناس اليها . لا اقصد ان أقلل التشجيع فى تعلم اللغات الاجنبية ، لكن يجب ان نخفف اعتمادنا عليها ونجعل نظرتنا لها متواضعة بعض الشىء .

يرتبط هذا العامل بعامل آخر وهو ما اسميته « الغربة الحضارية » عند المواطن العربى . فبالرغم من الاحداث الجسام التى تعيشها امتنا العربية وبالرغم مما تاست وتقاسى من الغرب ودوله وثقافته و « حضارته » ، الا اننا ان اردنا ان نصارح انفسنا وجدنا ان قطاعا كبيرا من شبابنا يقاسى من غربة حضارية مريرة تتجلى فى تهافت شبابنا على « الغربنة» المتمثلة فى النظر للغرب على انه النموذج الذى يحتذى كذلك تتجلى هذه الغربة فى نظرة مجتمعنا العالية لمن يجيد احدى اللغات الغربية وبتهافتنا على استعمال الاصطلاح الاجنبى فى حديثنا العادى وفى صحفنا واجهزة اعلامنا . ان ذلك ما اسماه ابن خلدون فى مقدمته تقليد المغلوب للغالب . لكن اما آن الأوان لان تتوقف هذه الظاهرة ونبدأ كشعوب نعتز بلغتنا وحضارتنا !

العربية تستصرخ ابناءها لمزيد من البحث والتأليف والنشر وخاصة فى حقل المعاجم . اذ يأسف المثقف العربى ان لا يكون هناك فى العربية حتى الآن قاموس واحد بجودة وشمول ووضوح وسهولة استعمال

ويسترز فى الانجليزية مثلا ، كذلك حتى هذه اللحظة لا يوجد دائرة معارف واحدة بمستوى دائرة المعارف البريطانية او الامريكية. لذلك تحتاج العربية الى مجموعة شاملة واضحة حسنة التصنيف من معاجم المترادفات والمتناقضات والمكنزات والمواد المرجعية الاخرى . وقد قام سلفنا بالبحث وحصر المعلومات وما علينا الا ان نصنف تلك المعلومات ونطبعها . انه وضع مؤسف .

اما تعريب التعليم الجامعى ، فليس ضرورة ومطلبا قوميا فحسب ، انما هو خدمة نسجيها للعربية بل لابنائنا الواقعين الآن بين نارين ، نار جهلهم بلغتهم ونار صراعهم مع اللغة الاجنبية التى لا يجيدونها ومع ذلك عليهم ان يتعلموا بها . ليس هناك على وجه الارض دولة ذات قيمة تدرس ابناءها بلغة غير لغتهم . فمن البديهيات فى التعليم ان الطالب يستوعب بشكل افضل ويفكر بشكل اسلم فى لغة الام لا بلغة فرضت عليه ولا يتم ذلك الا اذا بدانا به وبالحال ، اذ سيبقى دعاة استعمال الاجنبية يبرزون الحجة تلو الحجة لتاخير التعريب وسيجدون دائما حججا مقنعة ما لم نبدأ بالتعريب. كيف يمكن ان يكون هناك مصادر علمية بالعربية مالم نخرج جيلا عربيا تعلم بالعربية كي يبحث وينشر بها؟ لماذا لم نبدأ بجملة ترجمة شاملة للكتب المدرسية وهى فى الواقع محصورة العدد وليست بذلك الحجم البالغ الذى يصوره بها اعداء التعريب . اذا اخذنا الكيمياء مثلا ، فانك تجد كتابا واحدا مشهورا عالميا ككتاب مدرسى ويستعمل فى مستوى معين — كالسنة الاولى او الثانية مثلا — وفى كثير من الاحيان نجد ان هذا الكتاب قد اعيدت طباعته مرات ومرات وبتعديلات طفيفة نستطيع اضافتها لترجمتنا سنويا . ان الكلام سيطول عن التعريب وسنبقى نعانى نفس المشاكل التى نتحدث عنها ما لم نبدأ و فى الحال بتحضير جيل يتعلم فى الجامعة وفى اعقد العلوم بالعربية . والتجربة السورية ، وكذلك التجربة العراقية الجديدة جديرتان بالاعجاب والتقدير .

فى ختام هذا البحث ، اود ان اوجه الدعوة الى المثقفين العرب ، والمختصين منهم او العاملين فى حقل اللغويات وتدريس اللغات بشكل خاص لابداء آرائهم وتوجيه بحثهم نحو مزيد من الاقتراحات العلمية الممكنة التنفيذ التى تهدف الى اعادة الاعتبار للغتنا العربية لغة رسمية وشعبية للعالم العربى لا بالاسم بل بالفعل .

يقول العقاد (1) فى مقالة له عن الفصحى والعامية ، وفى ما يقول عمق فى التفكير وملخص لكثير مما قيل ويقال عن هذا الموضوع لولا بعض كلام عن العامية تنقصه العلمية (كقلة القواعد) :

« ان فى كل امة لغة كتابة ولغة حديث وفى كل امة لهجة تهذيب ولهجة ابتذال وفى كل امة كلام له قواعد واصول ، وكلام لا قواعد له ولا اصول وسيظل الحال على هذا ما بقيت لغة ومابقى ناس يتمايزون فى المدارك والاذواق . فلن يأتى اليوم الذى يكتب فيه فردوس ملتون بلغة العامل الانجليزى وفلسفة كانت بلغة الزارع الالمانى ولن يأتى اليوم الذى يستوعب فيه قوالب السوق كل ما يخطر على قرائح العبقريين ويختلج فى ضمائر النفوس ويتردد فى نوابغ الاذهان فالفصيحة باقية والعامية باقية مدى الزمان » .

---

1) العقاد ، ساعات بين الكتب ص ؛ 145 — 146 .

المصادر العربيـــة

1 ابن جنـــــى : **الخصائـــص**

2 ابن خلـــدون : **المقـــدمـــة**

3 ابراهيم أنيس : **مستقبل اللغة العربية** ، القاهرة 1960

4 محمود حجازى : **اللغة العربية عبـــر القـــرون** ، القاهـــرة 1978 .

5 محمد حسين : **الاتجـــاهات الـــوطنية فى الادب المعاصر** ، القاهرة 1956 .

6 طـــه حسين : **مستقبل الثقافة فى مصر** ، القاهرة 1944

7 ساطع الحصري : **آراء فى اللغة والادب** : بـــيروت 1958 .

8 محمد حلـــمي : **القومية العربية** ، القاهرة 1971 .

9 نفوسه سعيد : **تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر** : القاهرة 1964

10 ساطع الحصري : **ابحاث مختارة فى القومية العربية**، بـــيروت 1974 .

11 احمد لطفي السيد : **المنتخبـــات** ، القاهـــرة

12 الســـيـــوطـــى : **المـــزهـــــر** .

13 عباس العقاد : **ساعات بين الكتب**، بيروت 1969 .

14 انيس فريحة : **نحو عربية ميسرة** ، بيروت 1955

15 مصطفى نهمى : **النظرية العامة للقومية العربية**، الاسكندرية 1966 .

16 مازن المبارك : **نحو وعي لغوي** ، دمشق 1970 .

17 مجلة المجمع العلمى العربى : مجلد 32 رقم 1 ، سوريا 1957 .

18 سلامة موسى : **الادب للشعب** ، **القاهرة 1956**

19 صبحى الصالح : **دراسات فى فقه اللغة** ، بيروت 1978 .

المصادر الاجنبية

1. Abdel-Malek, Zaki. « The Influence of Diglossia on the Novels of Yusif Al-Ṣibà'i », **Journal of Arabic Literature** (1972), 132-41.
2. Al-Toma, Salih J. **The Problem of Diglossia in Arabic : A Comparative Study of Classical and Iraqi Arabic.** Harvard Middle East Monograph Series, 21, 1969.
3. . . . « Language Education in Arab Countries and the Role of the Academies », In J. Fishman (ed.), **Advances in Language Planning.** The Hague ; Mouton, 1974.
4. Bateson, Mary Catherine. **Arabic Language Handbook.** Washington, D. C. : Center For Applied Linguistics, 1967.
5. Bezirgan, Najm. « Language and Reality in the Arab World ». In E. Said and F. Sulieman (eds.). **The Arabs Today : Alternatives for Tomorrow.** Columbus : Forum Associates Inc., 1973.
6. Blanc, Haim. « Stylistic Variations in Spoken Arabic : A sample of inter-dialectal Educated Conversation », In C. Furguson (ed.), **Contributions to Arabic Linguistics.** Cambridge : Harvard University Press, 1960.
7. Brame. Michael. **Arabic Phonology : Implications for Phonological Theory and Historical Semitic.** Unpublished Ph. D. Dissertation, MIT, 1970.
8. Cachia, P.J. « The Use of the Colloquial in Modern Arabic Literature » **Journal of the American Oriental Society,** 87, 1. (1976).
9. Cheine. Anwer. **The Arabic Language : Its Role in History.** Minneapolis : University of Minnesota Press, 1969.
10. Ferguson, Charles A. « Diglossia », Word, 15 (1959), 325-40.
11. . . . « Myths About Arabic », In J. Fishman (ed.), **Readings on the Sociology of Language.** The Hague : Mouton, 1968.
12. Fishman, J. **Readings on the Sociology of Language.** The Hague : Mouton, 1968.
13. . . . **The Sociology of Language.** Newbury House, 1972.
14. . . . (ed.) **Advances in Language Planning.** The Hague : Mouton, 1974.
15. . . . and Das GupTa. **Language Problems in Developing Nations.** New York : John Wiley, Sons, 1968.
16. Gumperz, John. « Types of Linguistic Communities », **Anthropological Linguistics,** 4, (1962)
17. . . . « Linguistic and Social Interaction in Two Communities », **American Anthropologist** 67, (1964).
18. . . . « On the Ethnology of Linguistic Change », In B. William (ed.), **Sociolinguistics.** The Hague : Mouton, 1966.
19. . . . « The Speech Community », In P. Giglio (ed.), **Language and Social Context.** New-York : Penguin Books Ltd., 1977.
20. Hymes, Dell. « Introduction to Social Structure and Speech Community » in D. Hymes (ed.), **Language in Culture and Society,** New York : Harper and Row Publishers, 1964, 385-390.
21. Inayatullah, S. « Arabic as the Religious Language of the Moslem. » **Muslim World,** 29, 3, (1949), 242.
22. « Islam : The Militant Revival », (Special Report), **Time** 113, 16 (April 16, 1979) 40-54.
23. Kaye, Alan. « Remarks on Diglossia in Arabic : Well Defined vs Ill Defined », **Linguistics.,** 81 (1972) ' 32-48.

24. Kaye, A. «Modern Standard Arabic and the Colloquials », **Lingua**, 24, 4 (1970), 347-391.

25. Kelman, Herbert. « Language as an Aid and Barrier to Involvement in the National System », In Rubin, J. and B. Jernudd, (eds.), **Can Language Be Planned ?** Honolulu ; University Press, 1975.

26. Krumbacher, Karl. **Das Problem der Modern Griechischen Schriftsprache.** Munich, 1902.

27. Marçais, William. « La Diglossie Arabe », **L'enseignement Public**, 97 (1930), 401-409.

28. Shaaban, Kassim « Code-Switching In the Speech of Educated Arabs », **The Journal of the Linguistic Association of the South-West** 3, 1 (1978) 7-20.

29. Sotiropoulos, Dimitri. « Diglossia and the National Language Question In Modern Greece» **Linguistics**, 197 (1977), 5-31.

30. Stetkevych, Jaroslav. **The Modern Arabic** Literary Language : Lexical and Stylistic Development. Chicago : University of Chicago Press, 1970.

31. Musa, Salama. « Arabic Language Problems », **Middle East Affairs**, 6 (1955), 41-44.

32. Teymour, Mahmoud. « The Battle Between the Arabic Languages in Modern Egyptian Literature », **The Asian Review**, 28 (1932), 635-40.

33. Wexler, P. « Diglossia, Language Standardization and Purism », **Lingua**, 27 (1971).

34. Yorkey, Richard. « Practical EFL Techniques For Teaching Arabic Speaking Students », In J. Alatis. and R. Crymes (eds.) **The Human Factors in ESL.** Washington, D.C. : TESOL, 1977.

35. Zughoul, M.R. « Diglossia In Arabic : Investigating Solutions », **Texas Linguistic Forum**, 13 (1979), 137-152.

36. Zughoul, M.R., Robert Maple and Peter Fallon. « Cultures In Contact : The Arab Student in the EFL Classroom », A paper presented at the thirteenth annual TESOL Convention, Boston, Mass., 1979.

37. Zughoul, M.R. « Lexical Interference of English in Eastern Province Saudi Arabic » **Anthropological Linguistics** 20, 5 (1978) 214-225.

التحول الداخلي في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية أو التعبيرية

للدكتور: مصطفى النحاس
جامعة الكويت

يعنى الصرف بدراسة احوال الكلمة التى سوف تنقل الى النحو وذلك على مستويين :

مستوى البنية : اى البحث عن الكلمة وما يعتريها من تغير وتبدل فى حالات الافراد والتثنية والجمع والتصغير والنسب والاشتقاق ، ، ، الخ .

ومستوى الصوت : وصلته وثيقة بالدراسات الصرفية ، اذ الاصوات قرينة صالحة لتفسير معظم الظواهر اللغوية فالتاء فى نحو : ضربتُ ، ضربتَ . ضربت — تعتبر أصغر صورة صوتية تحمل معنى الشخص (المتكلم او المخاطب او المخاطبة) ومعنى الجنس (المذكر او المؤنث) . والنون فى : رايت المسلمين وشاهدت المسلمين — تعتبر أصغر صورة صوتية تحمل معنى العدد (المثنى او الجمع) و « ذو » فى : جاء ذو مال ورايت ذا مال ومررت بذي مال — تعتبر أصغر صورة صوتية تحمل حالة الرفع او النصب او الجر.

وتتالف الكلمة العربية من أصوات صامته تدخل عليها المصوتات التى تضفي على الاحرف الصامتة جرسا خاصا . والمقصود بالاحرف الصامتة حروف الهجاء : ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ . أما المصوتات فهى الحركات . قصيرة كانت (الفتحة والكسرة والضمة) او طويلة (الالف والواو والياء) .

وتمثل الاصوات والحروف مادة الكلمة فى اللغة العربية ، وهذه المادة توضع فى قالب لغوى . يسمى « الصيغة » فمثلا المادة (ض ر ب) تقدمها لنا اللغة العربية فى التراكيب الصوتية التالية :

ضَرَبَ يَضْرِبُ اضْرِبْ ضَارِب مَضْرُوب مَضْرَب الخ.

وهذه التراكيب تمثلها صيغ او بُنىً صرفية ، هى:

فَعَلَ / يَفْعِلُ / افْعِل / فاعِل / مفعول مُفَعَّل ، ،

وجميع الالفاظ فى اللغة العربية ترجع الى مبان وصيغ محدودة ، تبلغ (1210) عشرة ومائتين والف صيغة [1] ، فالالفاظ : فاتح ، عالم ، قارىء ، ناجح ناصر ، ظافر — كلها ترد الى صيغة (فاعل) .

والالفاظ : نشوان ، فرحان ، غضبان ، عطشان ظمآن — كلها ترد الى صيغة (فعلان) .

ولهذا التصنيف قيمة كبيرة فى البناء اللغوى ، اذ تقوم عليه المعانى الوظيفية الصرفية كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وافعال التفضيل وصيغ المبالغة ولا تخفى حاجة النحو الى اشكال ومعانى هذه الصيغ . فمثلا صيغة (مضروب) تدل دلالة جزئية على من وقع عليه الفعل ، لانها على وزن (مفعول) وما دامت على وزن مفعول فهى تؤدى معناه ، ومعناه مزيج مركب ممن وقع عليه الفعل ومن الفعل ، اى إن المادة الاصلية للكلمة تدل على المعنى العام الذى هو مشترك بين حروفها فى جميع تصاريفها ، والصيغة تحدد ذلك المعنى العام وتخصصه ، فالصيغ فى اللغة العربية « ماهى الا قوالب فكرية تصب فيها المعانى العامة فتحددها وتعطيها حجمها ومعناها ، أى انها نجعلها على سمتها كما وكيفا . وهى بالمفهوم

---

1) انظر : لغويات ص 54 (د . عبده عبد العزيز قلقيله مكتبة الانجلو المصرية) .

الذى بيناه ظاهـرة لغوية طبيعية وصحية ، لانهـا تحد من نتوءات اللغة وجموحها ، وتجمع شملا تحـت مجموعات يمكن ضبطها بدلا من تركها فوضى ، ، كـل كلمة امة وحدها ، وكيان قائم بنفسه ، » (2). هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى تعتبر الصيغة فى الصرف وسيلة من وسائل اثراء اللغـة ، فمن طريقها يمكن اضافة كلمات جديدة الى اللغة ، ذلك اننا اذا اردنـا التعبير عن معنى من المعانى نظرنا فى الصيغ الصرفية وفيما تدل عليه كل صيغة من المعانى ، فاذا صادفنـا المعنى الذى نريده صغنا الكلمة الجديدة على غـرار هذه الصيغة ، ولما كانت الاسماء والصفات والافعال هى وحدها صاحبة الصيغ فان معنى ذلك ان العناصر القابلة للتحول والتطور فى اللغة هى المفـردات ذات الصيغ (اى العناصر ذات الصيغ الاستغانية) امـا العناصر الاخـرى كالضـمائر والظـروف والادوات والخوالف (3) فلا تخضع للصياغـة الاشـتقاقية ، ولا يأتى اثراء اللغة عن طريقها ، بل هى مبان تنتمى الى النظام ، ومعانيها وظيفية ، وصورها محفوظة ثابتة ، ولـذا تسـمى « ثوابت لغويـة » .

ومن هنا كانت هذه الصيغ المتنـوعة للمـادة الواحدة ، وكان ايضا القول بالمجردوالمـزيد وانـواع المجرد وانواع المزيد ، ، حتى تقابل الكلمات الجديدة هـذه المعانى اللانهائيـة .

ولما كان الواضع يضـع الكلمة اولا للمعنـى الحقيقى العرفى ، وليس للمعنى المجازى ، وكانـت كلمات اللغة دائما فى كل مجتمع اقل بكثير جدا مـن تجارب هذا المجتمع — فان المجتمع لا يكتفى باستخدام الكلمات فى معانيها الحقيقية ، والا لأصبحت تجاربـه التى تعبر عنها اللغة محدودة ، ولضاع معظم تجارب المجتمع فى متاهات النسيان ، لان الكلمة عقال المعنى. والمعنى الشارد بلا عقال لابد ان يضل ويختفى ويضيع الى الابـد .

وكان لابد من حل لهذه المشكلة فى اتجاهين :

ا) محاولة اثراء اللغة بايجاد كلمات للمعانى التى لـم يعبر عنها ، ولم توضع لها كلمات من قبل .

ب) محاولة الانحراف بالمعنى العرفى للكلمة الى معان اخرى فنية بيانية ، تسمى المعانى المجازية كالتشبيه والاستعارة والمجاز المـرسل (4) .

ولقد استطاع الشعراء والادباء ان يخلقوا اللغات لانفسهم عن طريق الصورة البيانية ، بل وجدنا للصوص لغتهم ، وللجواسيس لغتهم . ولغة العلم اليوم مـن صنع العلماء ، واللغة العربية فى حاجة ماسة الـى ان تثرى فى حقل المصطلحات العلمية والفنية والحضارية بخلق مفردات جديدة على غرار الصيغ المتاحة او على سبيل الاضافة اليها (5) . وقد تنبه علـماء العـرب القدامى لذلك فيما اسموه بالصيغ الملحقة .

لذا كان من ابرز مباحث علم الصرف مبحث الطرق التى تخلق بها اللغة صيغا جديدة فيها ، فعندما يجمع بعض الناس كلمة « مدير »على « مدراء » قائسا إياها على رئيس ورؤساء وخبير وخبراء ، يكون قد اوجـد فى العربية صيغة جمـع« مدير » لم تكن فيها . وتسمى هذه الطريقة فى خلق الصيغ الجديدة بالقياس ، وان كان القياس هنا قياسا على التوهم ، اى توهم كلمـة «مدير» بالضم على مثال « رئيس » بالفتح ، فجمعوها على « مدراء » كما جمعوا « رئيس » على « رؤساء ».

التنوع الحركى فى الفعـل :

المعروف أن الصرفيين ذكروا للفعل ابوابا ستة . هى صيغ **الثلاثى المجرد مع المضارع** ، وترتيبها عندهم على الوجـه الاتى :

الباب الاول: فَعَلَ يَفْعُلُ كَنَصَرَ يَنْصُرُ وكَتَبَ يَكْتُبُ

الباب الثانى: فَعَلَ يَفْعِلُ كَجَلَسَ يَجْلِسُ وضَرَبَ يَضْرِبُ

الباب الثالث: فَعَلَ يَفْعَلُ كَذَهَبَ يَذْهَبُ وقَرَأَ يَقْرَأُ

---

2) السابق ص 55 .

3) الخوالف جمع خالفة . وهى كلمات تستعمل فى المواقف الانفعالية ، مثل خالفة الاخالة (اسم الفعل) وخالفة الصوت ، وخالفة التعجب ، وخالفة المدح — انظر الاشمونى : باب نعم وبئس ، وبـاب التعجب ، وانظر : ———————— لابن عصفور / باب اسم الفعل .

4) انظر : اللغة العربية ، معناها ومبناها ص320 (د.تمام حسان)الهيئة العامة للكتاب 1973 القاهرة.

5) السابق

الباب الرابع: فَعِلَ يَفْعَلُ كفرح يفرح وعلم يعلم
الباب الخامس: فَعُلَ يَفْعُلُ كشرف يشرف وعظم يعظم
الباب السادس: فَعِلَ يَفْعِلُ كورث يرث وولى يلي

وهذا التنوع الحركى فى تلك الابواب هو الذى نسميه بالتحول الداخلى وهو يعتمد اساسا على المصوتات الثلاثة (ف ع ل) وحركة العين فى المضارع ونجد كثيرا من الافعال المعتلة فى هذه الصيغ ، فالاجوف الواوى والناقص الواوى نجدهما فى الباب الاول فى نحو : صال يصول ، جاد يجود ، قال يقول ، عاد يعود لاح يلوح وفى نحو : سما يسمو ، نما ينمو ، شكا يشكو زكا يزكو .

والمثال الواوى (6) والاجوف اليائي والناقص اليائي (7) نجده فى الباب الثانى فى نحو : وصف يصف وفى نحو ضاع يضيع ، وفى نحو : قضى يقضى ، والمثال الواوى حلقى اللام ، والناقص اليائى حلقى العين لوحظ فيهما الفتح فى المضارع ، نحو : وضع يضع ، وقع يقع ، ونحو سعى يسعى ، رعى يرعى ، ومن الباب الرابع جاء : هوِيَ يَهْوَى وقَوِيَ يَقْوَى ورَوِيَ يَرْوَى ؛ كما جاء من الباب الخامس نحو : وَسُمَ ووَضُعَ وقَضُوَ وسَرُوَ ونَهُوَ . اما الباب الاخير فيكاد يكون مقصورا على الافعال المعتلة ، وحصره بعضهم فى ثمانية عشر فعلا ، خمسة عشر منها من المثال ، وثلاثة من الأجوف كما يلى : وَرِثَ ، ولى ، ورم ، ورع ، ومق (8) ، ومق «9» ، وثق وَرِيَ «10» ، وَجِدَ «11»، وعق «12» ، ورك «13» ، وكم «14» ، وقه (15) وهم ، وعم «16» ، آن ، تاه ، طاح «17» .

والاصل فى هذه الابواب السماع ، وما يذكر من ضوابط يمثل الغالبية ، وليس هناك من سبيل للتأكد من ضبط عين المضارع الا بالرجوع الى كتب المعاجم العربية .

اما ماتلحظ من تداخل — احيانا — بين ابواب الصرف فى المعجم : فليس فى حقيقته الا مثلا على عدم الاستقرار اللغوى ، وقد حاول العلايلى ان يضع ضابطا لكل باب صرفى تبعا للقصد منه ، فقال : « درج المعجميون على الخلط بين ابواب التصريف الستة خلطا كبيرا ، بينما اتضحت لى حقيقة فى كتاب مقدمة ، وهى :

1 — ان التصريف بمعنى التلبس بالحال الفعلية — فى الزمن الخاص ، يخضع دائما لباب واحد ، هو الثانى ، اى باب ضرب يضرب . . (اما) الابواب الخمسة الاخرى فلافادة معنى زائد .

2 — فاذا اردت الدلالة على التفوقية او التركيب فوق الدلالة على التلبس بالحال الفعلية ؛ تنقل (الفعل) الى الباب الاول ، اى باب نصر ينصر ، ، ولذا طرده اللغويون فى معرض المفاخرة والمغالبة الموضوع فى هذه الصيغة : تامرته فقمرته فانا اقمره ، ، وعليه فكل ما يصاغ تصريفا من الباب الاول يراد به ان الشخص تلبس بالحال الفعلية ، وزيادة على التلبس تفوق عليها.

3 — واذا اردت الدلالة على التغلب والانسراح تنقل الفعل الى الباب الثالث ، اى باب فتح يفتح .

4 — واذا اردت الدلالة على التغير خلوا وامتلاء وجودا وعدما تنقل الى الباب الرابع ، اى باب علم يعلم وجهل يجهل . .

5 — واذا اردت الدلالة على الرسوخ والطبع، تنقل (الفعل) الى الباب الخامس ، اى باب حسن يحسن وكرم يكرم . .

6 — واذا اردت الدلالة على التجزؤ والتقسم ، تنقل الفعل الى الباب السادس ، اى باب ورث يرث » (18).

والخلاصة : كل ماض يكون على وزن (فعل) الا لحاجة معنوية ، فينقل الى باب طرِب او كرُم .

وكل مضارع يكون على وزن (يَفْعِلُ) الا للحاجة المذكورة ، اما الحلقى فيكون من باب فَتَحَ ، ، واحرف الحلق ستة هى ، ء ، ه ، ع ، ح ، غ ، خ . وما بقى

---

6) اذا لم تكن لامه حرف حلق ، فان كانت لامه حرف حلق كان من الباب الثالث (فَعَلَ يفعَلُ) .
7) اذا لم تكن عينه حرف حلق، فان كانت عينه حرف حلق كان من الباب الثالث ايضا
«8» احب . «9» وفقت امرك (وجدته موفقا) «10» ورى المخ (عظم) «11» وَجِدَبه : احبه «12» وعق عليه : عجل . «13» ورك : اضطجع ؛«14» وكم : اغتم ؛ «15» وته : سمع واطاع ؛ «16» وعم الدار : قال لها عمى «17» هلك .
(18) تهذيب المقدمة اللغوية ص 90-91 للعلايلى — د . اسعد على / دار النعمان 1968 / لبنان

غير ذلك مأثريات من بقايا التطور ، كما يلاحظ فى الفعل وهل يوهل (19) ، فقد جاء متخلفا من وجهين :

ا ــ التصحيح مع موجب الاعلال .

ب ــ الدوران بين بابى طرب وورث .

ولذا كان الفعل وثق يثق أرقى منه ، لانه جاء من باب مات مع الاعلال الذى هو تمام العمل الارتقائى كما تشهد عبارة الفيومى فى مصباحه ، اذ الاعلال يفيد المعنى الطبيعى ، كما فى (طال) فانه يفيد الطول بنمو طبيعى . . وأما التصحيح مع موجب الاعلال فيفيد المعنى بتكلف أو باضطراب ، كما فى (طول) فانه يفيد التكلف فى الطول . (20)

ونستنتج من ذلك ان الصور التى عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور أميتت ، وان الاعلال متأخر فى الطبع العربى عن توحيد أبواب الافعال ، فاذا قال الصرفيون : ان (قال) أصلها «قول» تحركت الواو وانفتح ماقبلها فقلبت الفا على رأى القدامى ، أو حذفت الواو وطالت الفتحة على رأى المحدثين ــ فان ذلك يعنى ان الاعلال نوع من الرقى اللغوى قائم على قانون الاتباع والتناسب ولو لادنى مناسبة . وهو يحمل على الدهشة المزوجة بتقدير العقلية اللغوية التى صدرت عنها هذه التعليلات(21) .

ويأتى بعد هذه الابواب باب واحد **للفعل الرباعى المجرد ، هو** صيغة (فَعْلَلَ) . ويصاغ هذا الوزن من:

1 ــ أسماء المعانى ، مثل : زخرف ، بعثر ، وَبْرَشَنَ الخطيب كلامه ، وعَرْبَد الندامى .

2 ــ أسماء الذوات :

ا ــ للدلالة على مشابهة المفعول للذات التى اشتق منها الفعل ، مثل : عقربت الغانية صدغها : اى جعلته كشكل العقرب .

ب ــ للدلالة على جعل الذات فى المفعول ، مثل : زَعْفَرْتُ الثوب ، وَلَفْلَفْتُ الطعام ، اذا وضعت فيه فُلْفُلا .

ج ــ للدلالة على ظهور ما أخذ منه الفعل ، مثل : عَسْلَجَتِ الشجرةُ ، اذا ظهرت عساليجها ، اى قضبانها الخضر .

3 ــ وسمع هذا الوزن فى الافعال المنحوتة من تراكيب كثيرة الدوران على الالسنة ، مثل : (بأبأ) من قولهم : بأبي انت وأمي ، وطلبق من : أطال الله بقاءك ، وسمعل من : السلام عليكم ، وحوقل من : لا حول ولا قوة الا بالله (22) ، وسبحل اذا قال سبحان الله ، وجعفل اى جعلني الله فداك ، ، الخ.هذه التراكيب التى هى من اختصاص الباحثين فى فقه اللغة اذ أن مهمة الصرف تقديم الصيغ حسب .

4 ــ وشاع (فَعْلَلَ) فى أسماء الاصوات المركبة من حرفين مكررين ، مثل : بَأْبَأَ الصبي ، اذا قال : با . . با ، وهَأْهَأَ بالابل ، اذا قال لها : هِىء هِىء ، دعاء لها عند الشرب . وتَهْتَهَ ، قال : تَهْ تَهْ : قال المتنبي يصف لقاء بدر بن عمار للاسد :

التقى فريسته وَبْرَبَرَ دونها

وتربت قربا خالته تطفيلا

5 ــ وفى اللغة المعاصرة يستخدم هذا الباب فى المترجمات ، مثل : سَنْتَرَ ، وَتَلْفَزَ ، وَتَلْفَنَ . .

ولما كان هذا الباب ثقيلا فى ذاته ، وكان الرباعى منه ثقيلا أيضا لم يتصرفوا فيه تصرف الثلاثى ، وجاءوا به على أخف صوره ، وهى (فَعْلَلَ) ، ثم الحقوا به سبع صيغ ، هى :

1 ــ فَعْلَلَ (23) ، مثل : جَلْبَبْتُ المسكين ، البسته الجلباب .

2 ــ فَعْوَلَ ، مثل : رَهْوَكَ العاملُ ، استرخت مفاصله فى المشي .

3 ــ فَوْعَلَ ، مثل : هَوْجَل الحارسُ ، نام نومة خفيفة .

4 ــ فَعْيَلَ ، مثل : رَهْيَأَ الرئيس ، ضعف .

5 ــ فَيْعَلَ ، مثل : بَيْطَرَ الطبيب الدواب .

---

19) ومن معانيه الوهم والخطأ والضعف والخوف وأول وهلة : أول شيء

«20» ، «21» انظر : المصباح ج 2 ص 1059 . وانظر : تهذيب المقدمة اللغوية ص 105-106 ، 149 .

22) * ويقال : حوقل الرجل ، اذا ضعف عن الجماع ، ووزنه فَوْعَلَ

23) الفرق بين « فَعْلَلَ » أصل الباب ، وفَعْلَلَ الملحق : أن اللامين فى الاول أصليان . وفى الثانى احدى اللامين أصل ، والاخرى زائدة تضعيف لذلك الاصل .

6 ــ فَنْعَلَ ، مثل شَنْتَرَ الثوبَ ، مزّقه

7 ــ فَعْنَلَ ، مثل: قَلْنَسَ الغلام، البسه القلنسوة

والغرض من الالحاق أمر لفظي بحت ، هو التوسع في اللغة والفاظها وصيغها ، فقد يلجأ اليه الادباء لاقامة وزن او سجع او ما الى ذلك مما يحتاجه الشاعر او الناثر من مفردات وصيغ غير الصيغ المتاحة.

ويعتبر الالحاق من الوسائل الجديدة لاثراء اللغة ومعنى ذلك ان باب الالحاق مفتوح ، وسيظل مفتوحا في اللغة العربية اذا اريد لهذه اللغة ان تحيا وتتطور، فاللغة اساسا عرف واستعمال ، يتوارثه الخلف عن السلف ، ولنا ان نجدد فيها او نستحدث او نضيف اليها عن طريق خلق الفاظ وصيغ جديدة ، لكي تساير لغة العصر وتطور الزمن ، وتسد حاجات المجتمع .

ونحن حين نهمل الفاظا لانراها ملائمة لروح العصر الذي نعيش فيه ــ نعمد في الوقت نفسه الى اشتقاق الفاظ اخرى معتمدين على القياس ، او الى نحت كلمة من كلمتين او اكثر ، فالالفاظ كالناس الذين يستخدمونها تنتمي الى اسر ، بعضها معمر ، وبعضها الآخر غير معمر (24) .

ومما تقدم يتضح ان الجانب الاكبر من مفردات اللغة يعتمد على صوامت (اصول) ثلاثة (ف ع ل) وما يسمى بالالحاق في الصرف هو في الحقيقة نوع من التوسع في الافعال الثنائية او الثلاثية ، وما ذهب اليه الكوفيون من ان نهاية المجرد ثلاثة احرف تؤيده الدراسات الحديثة ، فقد اثبتت الاحصاءات ان في العربية (5629) فعلا ، منها (4814) فعلا ثلاثيا .

ومن هنا يمكن الزعم ان ما يسمى بالرباعي المجرد انما يعود الى الثلاثي ، وان كل حرف من حروف العربية قابل للزيادة ، ولعل الامثلة التالية توضح ذلك

الفعل : دحرج	ذو صلة بالثلاثي : درج	والمزيد : الحاء
الفعل : بعثر	ذو صلة بالثلاثي : بثر	والمزيد : العين
الفعل : زغرد	ذو صلة بالثلاثي : غرد	والمزيد : الزاي
الفعل : فرقع	ذو صلة بالثلاثي : فقع	والمزيد : الراء
الفعل : شقلب	ذو صلة بالثلاثي : قلب	والمزيد : الشين
الفعل : عربد	ذو صلة بالثلاثي : عرد	والمزيد : الباء

وليس واحد من هذه الحروف الستة المزيدة يعد في حروف « سألتمونيها »

« فاذا ابحنا لانفسنا زيادة الحروف دون قيد للتعبير عن مقولات التحولات العلمية المختلفة استطعنا في النهاية أن نخلق صيغا جديدة للثلاثي المزيد ، تصلح كل صيغة منها باعتبارها معنى صرفيا لان تضم تحتها العدد الكبير من العلامات ، اي المفردات الاصطلاحية العلمية ، اسماء وصيغا وأفعالا على السواء ؛ كأن يكون لدينا صيغة مثل (دَفْعَلَ) تخصص لمعنى كلي من المعاني العلمية تندرج تحته معان فرعية ، كأن نقول مثلا (دَسْخَنَ) اذا تم التسخين على طريقة تندرج تحت هذا المعنى العلمي الكلي . ويمكن ان يكون الحرف الزائد بين الفاء والعين ، فتكون الصيغة (فدْعل) او بين العين واللام فتكون (فعْدل) او في آخر الصيغة فتكون (فعْلد) ولكل صورة مشتقاتها من المضارع والامر والصفات الخمس والميميات . كما يكون لها مصدر وعلم جرا مما تحمل فيه زيادة الدال في كل موضع جديد معنى كليا جديدا . فاذا كانت الدال وحدها قادرة حين تزاد في اماكن مختلفة أن توجد الالاف المؤلفة من المصطلحات الجديدة ، فتصور ــ اذن ــ ما تحمله الحروف كلها (ماعدا حروف سألتمونيها بالطبع) من امكانات ، لان كل صيغة من الصيغ الجديدة تحمل في طيها طاقة خلق مفردات لا حصر لها . » (25)

---

24 انظر : مجلة كلية الآداب / جامعة البصرة / العددان 4 ، 5 (مقال عبد الباقي الصافي)

25) اللغة العربية ، معناها ومبناها ص 153 ــ 154

المعنى الحركى والايقاع الصيغى :

اللغة كما عرفها ابن جنى : اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (26) ، وهذا التعريف الذى يكشف عن بعد الفكرة والعمق اللغوى لما يهدف اليه ابن جنى لم يفهم على حقيقته الا فى أبحاث علماء اللغة الألمان فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ولم تستقل مناهج اللغة فى بنية الكلمات وبنى التراكيب القائمة دائما على المادة الصوتية الا فى منتصف القرن العشرين عندئذ عرف اساتذة الجامعات قيمة هذه الدراسات وأصولها عند اسلافنا العرب الخالدين .

1 — فمن الثابت ان للعرب فى بناء الكلمات بوساطة الحركات ماليس لغيرهم .. ، وقد رأينا ذلك فى أبواب الصرف الستة ، ونراه ايضا فى المشتقات وفى جموع التكسير وفى الاسماء مثل (جَمَل) ؛ ولنتأمل ما يفعله التحول الداخلى فى كلمة (جَمَل) عندما تطول حركة الميم وتصبح (جمّال) ، فقد اعطت الحركة معنى جديدا يختلف اختلافا كبيرا عن معنى كلمة (جَمَل) التى تعنى « حيوانا » .

وليس هذا التحول الداخلى عن طريق الحركات موجودا فى اللغات الاخرى ، لان هذه اللغات تعتمد على العناصر الخارجية فى تكوين الصيغ والمعانى ، فاللغة الانجليزية — مثلا — تعتمد على البوادىء (prefixes) واللواحق (suffixes) او بتعبير آخر ما يسمى بالالصاق (Affixation) وهو لضافة لاحقة او سابقة الى أصل الكلمة للتعبير عن المعنى الجديد ، فالفعل الانجليزى (write) مثلا ؛ تضاف اليه اللاحقة (er) او (ing) فيفيد معنى اسم الفاعل والكلمة (active) تضاف اليها البادئة (in) فتفيد معنى النفى ، وتتحول الكلمة الاولى من (يكتب) الى « كاتب » ، والثانية من «فَعّال» الى « غير فعّال » بوساطة هذه العناصر الخارجية .

والتعبير بالحركة ليس مقصورا على بنية الكلمة فى الصرف ، بل يتناول البنى التركيبية فى النحو ايضا « فلو أخذنا الباب الخامس مثلا (فَعُل يفعُل) الذى يمتاز بالضمة فى الماضى والمضارع ، نرى جميع الافعال التى على هذا الوزن بلا استثناء واحد منها هى افعال لازمة . ان هذا الشمول يبعث على العجب ويلفت النظر الى وظيفة الضمة المكررة فى الماضى والمضارع كأنما تشير الى اكتفاء الفاعل بذاته » (27) . « وعند حذف الفاعل فى الافعال المبنية للمجهول تدخل الضمة على المفعول به لترفعه الى مرتبة الفاعل ، دليل الاكتفاء الذاتى بعد حذف الفاعل . والمبتدأ والخبر مرفوعان بعد حذف الفعل من الجملة ، أو بالاحرى بعد اكتفاء الجملة بالاسمين دون فعل يربط بينهما .

فكأنما الضمة فى ذهن العربى الاول حركة تشير الى ان فى الكلام اكتفاء واختصار شىء ما » . (28)

« ولعل من المفيد ايضا كشف ما تعنيه الفتحة والكسرة والسكون فى ذهن العربى الاول ، فقد يعيننا هذا فى الافصاح عن خبايا تسهل لنا سبل الاشتقاق» . (29)

وفى التحليل النحوى نلحظ احيانا الاكتفاء بعنصرين للاعراب بدلا من ثلاثة ، كما فى جمع المؤنث السالم حيث يرفع بالضمة وينصب ويجر بالكسرة ، بقصد حدوث المخالفة بابدال الفتحة القصيرة كسرة قصيرة عند مجاورتها لفتحة طويلة (آت) وذلك تجنبا للنطق بمجموعة مصوتات متحدة الطابع متواصلة .. وهذا يفسر لنا أمورا كثيرة ، منها كسر النون فى المثنى فى اللاحقة (آن) ويستوى فى ذلك الاسماء والافعال ، فيقال : هذانِ بدلا من هذانّ ، ويقْتتلانِ بدلا من « يقتتلانّ » . ويحدث هذا فى الصيغ التى على وزن (فعالِ) نحو : حزام وقطام ، ونحو : دراكِ ونزالِ .. وفى مصادر الصيغ المشتقة نحو (فعّال) ، فيقال كِذّاب بكسر الكاف بدلا من كَذّاب ، قال تعالى : وكذّبوا بآياتنا كِذّابا » (30) والمخالفة هنا وقعت فى اول الكلمة لا فى آخرها .

كذلك مصدر (افعل) ، فيقال اكرم اكراما بدلا من « افعال » بالفتح . وفى بعض جموع التكسير المنتهية بـ (آن) ، يقال اخوان وعِبْدان بدلا من «أَخْوان وعَبْدان»

---

26) الخصائص 1 / 33

«27» ، «28» ، «29» اللسان العربى ص 27 (المجلد الثانى عشر / الجزء الاول) مكتب تنسيق التعريب / الرباط

30) سورة النبأ / 28 .

« بحث الاستاذ خير الدين حقى المهندس فى كلية الهندسة بجامعة حلب عن « امكانات العربية » .

مما يدل على «عمومية» هذا الاتجاه فى العربية (31) قد توجد بعض المخالفات (الشواذ) وهذا امر طبيعى فى جميع اللغـات .

2 ـ وللاوزان والصيغ فى اللغة العربية مزيـة اخرى ليست لغيرها من اللغات ، فبوساطتها نبنـى عشرات بل مئات الكلمات التى تغطى مختلف المعانى ، وعن طريقها تثرى اللغة وتمتد مجالاتها ، وتستطيع استيعاب الحضارة مهما اتسعت .

فمثلا صيغة (صبغ) تشتق منها كلمات كثـيرة لمعان متعـددة ، يقال :

صَبَـغ	بمعنى الفعل الاصلى
وصِبَاغة	للحـرفـة
وصَبّاغ	لمحترف الصباغـة
ومِصْبغ	للجهاز فى الآلـة .
ومَصبغة	لمكان الصبـغ
ومِصْبغة	لآلـة الصبـغ
والصبوغ	النسيج الذى يقبل الصباغـة ، كان

نقول : (32) « ان القطن صبوغ ، اما الحرير الصناعي فـلا » .

والمصدر الصناعى اصبح معروفا وشائعا فى العربية المعاصرة ، غير ان زيادة الياء المشددة مع التاء المربوطة درج استعمالها فى كلمات عصرية كثيرة للدلالة على النوع او الوحـدة او الجمع ، مثـل : « استـراتيجية » ، « امبريالية » ، اعمال خيرية (33) .

وعند نقل الفعل المجرد الى اوزان المزيد يمكن ان يغطي اغراضا كثيرة ومختلفة كالتعرية والتكثير والسلب والمشاركة والصيرورة والمطاوعة والتكلـف والطلـب والانتساب والتدرج والمبالغة والتظاهر والتحول وغير ذلك من المعانـى الفعلية :

وتسبق الميم صيغة (فَعلَ) فتعبر بوساطة الحركة عن معان متعددة :

مَفْعَل : بفتح الميم اسم مكان او زمان او مصدر ميمـى .

مِفْعَل : بكسر الميم اسم آلة او صيغة تكبير .

مُفْعَل : بضم الميم اسم مفعول او اسـم زمـان او مكان او مصدر ميمى واذا كسرت العين عبرت عن اسم الفاعـل .

وهذا يوضح السر فى عظمة هذه اللغة التى تبدو فقيرة فى مصدرها ، حيث دلت الاحصاءات على ان عدد الافعال المستعملة والكلمات المجردة فى العربية لا يزيد على خمسة آلاف كلمة الا قليلا ، ومعنى ذلك أن « عبقرية اللغة العربية متأتية من توالدها ، فكل كلمة فيها تلـد بطونا ، والمولودة بدورها تلد بطونا اخرى ، فحياتهـا منبثقة من داخلها ، وهذا التوالد يجرى بحسب قوانين وصيغ واوزان قوالب هى غاية فى السهولة والعذوبة» (34).

وتدل الاحصاءات ايضا على ان فى العربية ما يقرب من (1210) صيغة ، المستعمل منها (120) صيغة فقط، وهذا يؤكد تواصل العربية واتساعها وصلاحيتها لكـل زمان ، ويكشف فى الوقت نفسه عـن مبدأ الاختيـار والتفاضل بين الصيغ فى الاستخدام اللغوى . . فالصيـغ ذات الايقاع الصاعد ، اى التى تبدأ بمطلع قصير ، ثـم تستمر على مقطع طويل (وهى الصيغ ذات الايقـاع الموافق لما يسمى بالوتد المجموع) هذه الصيـغ تكاثرت كلماتها الى اقصى حد ، وهى صيـغ : فَعَال وفِعَال وفُعَال وفَعِيل وفَعُول وفُعُول وفُعَيْل . اما الصيغ ذات الايقاع العكسى كخاتم وعالم وطابع فليست كثيرة ، وترجع كثرة (فاعِل) بكسر العين الى وظيفتها الصرفية ، من حيـث هى اسم فاعـل .

وليس من قبيل المصادفة ان نلاحظ فى الشعر ايثار الاوزان ذات الايقاع الصاعد ، كمـا نـرى فى بحور : الطويل والكامل والوافر والبسيط.وقد اظهرت الاحصاءات تفوق الطويل (فعولن مفاعيلن) فى الشعر البدوى الاول؛ لما فيه من فروسية ، يناسبها هذا الوزن ذو الايقاع الصاعد بأتم معناه (35) .

---

(31) انظر : العربية الفصحى / ص 48 ـ 49
(32) اللسان العربى ص 33
(33) السابـق
34) السابق ص 28 .
35) انظر : العربية الفصحى ص 89 ـ 91

ولصيغة (فُعَيْل) اهمية خاصة فى التعبير ، فقد حلت محل صيغة (فُعَال) التى كانت قديما للتصغير ، ولكنها فقدت خاصتها التعبيرية ، وخرجت من الاستعمال تاركة بقايا من آثارها ، نحو صُداع وسُعال . . مما يعبر عن الانحرافات والامراض ، وهو استعمال للتحقير (36)

وقد تستعمل صيغة « فُعَيل » للتكبير ، فابن يعيش فى شرحه للمفصل بعد أن قدم ثلاثة معان اولية للتصغير بوساطة «فُعَيْل» ذكر معنى رابعا ، هو على وجه التحديد « تصغير التعظيم » وساق لذلك شاهدين ، هما : « دُوَيْهيّة » . . من (داهية) « وجُبَيْل شاهق » من « جبل » (37) .

واذا نظرنا الى الصيغة ذاتها نجد كثيرا من الصيغ يمكن ان تعبر عن التصغير بجانب دلالتها على التكبير، مثل: فَيْصل(قاض) ، وحَيْدر (الحصى الصغير) .

ومثل خُنَاف (خفيف) تصغير تحقير ، وهُمَام (شهم) تكبير

ومثل : زُمَّال (ضعيف) تصغير ، وحُسَّان (جميل جدا) تكبير .

ومثل : عُقَيْب (نسر صغير) ، وخُرَيْطَة (ضخمة) تكبير

ومثل : فَعُّول كحسّون وحبّوب وحمّود فى لغتنا المعاصرة وتفيد صيغة (فِعَّوْل) بخاصة تصغير الحيوان ، مثل : خِنَّوْص (ولد الخنزير) ، وعِجَّوْل (ولد البقرة) ، وقد تعبر عن التكبير مثل ضِرَّوْط ، وهلّوف لذى اللحية الكبيرة (38)

فهذه الصيغ كلها ذات الوان انفعالية ، ولها تأثير واضح فى البيان اللغوى .

ولا يقتصر الامر على هذه الصيغ ، فالمتتبع لتطور تاء التأنيث وما ذكره السيوطى فى المزهر من امثلة مستعملة فيها يجد لونا من التحقير للمذكر الى جانب التكبير ، فمثل :

علامة ونسابة : تكبير ، ومثل :

لحانة وصخابة : تحقير . . والتحقير والتصغير واحد عند النحاة العرب ، يقول ابن يعيش فى مستهل شرحه للتصغير : « اعلم أن التصغر والتحقير واحد، وهو خلاف التكبير والتعظيم » (39) ومن المعروف فى كثير من اللغات أن التصغير يستعمل فى الوقت ذاته للتحقير، فلو وصفنا شابا بأنه مخطط كالقمر تصغيرا له ، فتلك شتيمة » (40)

ويطلق على التصغير تصغيرا كيفا وهيئة عندما يصبح وسيلة ملاطفة وتودد، نحو : يابُنَيَّ . . . ما أُمَيْلح فلانا . . ما أُحَيْلاه . . .

ولقد استطاعت الصفات التى بزنة (فَعُول) ان تصل الى درجة عالية فى الوصف المعين . وقد اورد السيوطى فى المزهر صيغة (فَعول) ضمن امثلة المبالغة ، ولكنه لم يذكر (فَعِيل) ربما لانها اصبحت فى الواقع اللغوى صيغة بسيطة معتادة لاشتقاق الصفة ، ومع ذلك تظل صيغة (فُعَيْل) اكثر شيوعا فى اللغة العربية فى هذا اللون الانفعالى من الصيغ ، لا من حيث التصغير فقط، بل مع مقابله من التكبير ايضا .

ان دراسة الصيغة فى الصرف ينبغى ان تربط بالدراسات اللغوية الحديثة ، لعلاقتها المباشرة بعلم اساليب اللغة ، والتحليل اللغوى للأدب . . فالانفعالية الكامنة فى بعض الصيغ الاشتقاقية توفر من الابلاغية (41) ما لا طاقة لغيرها به . ولعل خير نموذج لابلاغية الصيغ ودورها الفعال فى تأثير النص على النفوس — رائية الخنساء فى رثاء اخيها صخر (حمّال الوية — هبّاط اودية . . شهّاد اندية . . للجيش جرّار . . الخ) . وهناك التضعيف واثره الصوتى فى تصوير المدلول ،ثم

---

(36) السابق ص 96،98 . (37) انظر : شرح المفصل « باب التصغير » (38) العربية الفصحى ص 99 — 100 .

39) شرح المفصل (باب التصغير)

40) العربية الفصحى ص 100

41) يقصد بالابلاغية كل ما يجاوز عملية ايصال الوقائع والافكار . . مثل الاهتمام بعنصر من عناصر العبارة وابرازه ، وتناغم الاصوات اللغوية، وايقاع العبارة ، وبزة الملفوظ ، والقيم الانفعالية الخ (انظر : د . عفيف دمشقية « الانفعالية والابلاغية فى بعض اقاصيص ميخائيل نعيمة » وانظر ايضا : الفكر العربى ص 204 العددان 8 — 9 (تصدر عن معهد الانماء العربى/بيروت) .

الافعال المكونة من مقطعين متماثلين (صرصر . . مطمط . . زلزل . . الخ) وهناك صيغ التدبة والاستغاثة وما تمثله من قوة تعبيرية ، واسماء الافعال وحدتها الابلاغية ، والمصادر النائبة عن افعالها وايجازها الابلاغى (لبيك . . . حنانيك . . . الخ) والتناغم الصوتى فى بعض التراكيب وما يثيره جرسها من مطابقة بين الكلام والصورة (الجحفل الجرار . . . الجيش العرمرم . . الخ) « فاللغة نظام متماسك تأخذ فيه الالفاظ بعضها برقاب بعض ، فلا تظهر قيمة اللفظ الواحد الا بحضور الالفاظ الاخرى على التوالى ، واذا استثنينا اللغات التقنية ولاسيما العلمية . . فلا يخلو التعبير عن فكرة من لطيفة انفعالية ، اذ يلف المعنى العقلى لكل كلمة جو انفعالى يغلفها وينفذ اليها ويمدها حسب استعمالاتها بتلاوين عابرة مؤقتة ، لان الكلمات التى نملكها فى اذهاننا تشاطر حياتنا الفكرية والعاطفية بسرتتها » . (42)

3 — ويتصل بموضوع التحول الداخلى والصيغة ظاهرة الاعلال والابدال ، حيث تمثل هذه الظاهرة نوعا من التحول الداخلى فى الكلمة يراد به الارتقاء اللغوى، فالاعلال فى غايته يراد للتصحيح ، وهو وسيلة لبقة سامية ذلك ان المعل كان على الصحيح من بابه فى اقدم عهود اللغة ، لا كما ظن النحاة من ان ما قبل الاعلال افتراض تعليمى ، ومن ثم راينا الاعلال يفيد المعنى الطبيعى فى مثل : طال ، أما التصحيح (اى التمكين اللفظى باظهار حرف العلة) مع موجب الاعلال كما فى (طَوَل) فيفيد المعنى بتكلف او باضطراب . وهذا يفسر لنا التصحيح مع موجب الاعلال فى الباب الخامس (فَعُل يفعُل) نحو قَوُم ونَوُم وطَوُلَ حتى يفيد المعنى بتعجب .

فحديث الاعلال طريف ، من حيث كونه حيلة لبقة ابتداها العربى للمرة الاولى فى الصميم من اللغة اداة للتصحيح وللتمكين اللفظى واخفاء لمواطن الضعف فى الكلمة . . واظن أن احدا لا يخالف ابدا فى براعة قواعد ادخال الواو على الياء والعكس ، وعمل التعويض فى (استطاع) وقواعد الابدال فى احرف اللين الى غير ذلك (43)

4 — ويرتبط الاعلال والابدال بقضية « الاصل والفرع » ، فقد شغل اللغويون بهذه القضية ، وقرروا « ان الصحيح اصل للمعتل ، وان النكرة اصل للمعرفة ، وان المفرد اصل للجمع ، وان المذكر اصل للمؤنث ، وان التصغير والتكسير يردان الاشياء الى اصولها .. وكان الوصفيون يرون فى ذلك بحثا ميتافيزيقيا لا يعتمد على مبدأ علمى سليم ، غير ان المنهج التحويلى راى ان قضية الاصلية والفرعية قضية اساسية فى فهم «البنية العميقة » وتحولها الى « بنية السطح » . وفى العربية مثلا لا نستطيع ان ننظر الى الفعل (قال) على ان اصله (قال) وان الفعل (باع) اصله «باع» مع وجود «يقول» و«يبيع» بل علينا ان نعرف «اصل» الالف فيهما ، ولا نستطيع ايضا ان نغفل عن ان الطاء فى (اصطبر) و(اضطرب) ليست طاء ، وانما اصلها « تاء » . وليس من العلم ان يقف الدرس الوصفى المحض عند حد وصف الظاهرة « كما هى » دون ان يجد تفسيرا لها ، ومن هذا التفسير البحث عن « الاصل » . (44)

ومعرفة الاصل تخضع لاتجاهات لغوية عامة منها :

1 — ان العرب يكرهون ان يتكرر صوت صامت مرتين متتاليتين مع مصوت قصير يفصل بينهما ، وذلك موجود فى الافعال المضعفة الثلاثية (التى عينها ولامها من جنس واحد) مثل : مَدَدَ ، فَرَرَ ، وِدِدَ . . ولذلك يدغمون فيقولون : مدّ ، فرّ ، ودّ . . بدمج الصامتين فى صوت مضعف بعد حذف المصوت القصير. وموجود ايضا فى صيغة (افعلّ) نحو احمرّ بدلا من احمَرَرَ، واصفرّ بدلا من اصفَرَرَ . . وفى (افعلاء) نحو احبّاء بدلا من أَحْبِبَاء ، و (افعلات) نحو ازقّات بدلا من ازْقِقَات . . وهذه الكراهة تفسر لنا بعض صور الحذف والاختصار فى العربية (كراهة تكرر صامت مرتين متواليتين) ومن هذا : تَقدّمون بدلا من تتقدّمون، واسطاع بدلا من استطاع ، وانْعَل يُفْعِل بدلا من

---

42) الفكر العربى ص 205 (العددان 8 — 9)
43) انظر : تهذيب المقدمة اللغوية ص 106 ، 107 ، 148 ، 149 .
44) النحو العربى والدرس الحديث ص 143 — 144 (د ، عبده الراجحى / دار النهضة العربية بيروت) 1979 وانظر ايضا : ابحاث فى اللغة العربية ص 9 — 20 (د. داود عبده / مكتبة لبنان / بيروت) 1973

أفعل يُؤَفْعِل .. والاصل : افعل اُأَفْعِلُ ، فالظاهرة حدثت اولا فى الاسناد الى ضمير المتكلم ، ثم عمت فى سائر صور الاسناد من أَفْعَلَ (45) .

ب ــ كراهة النطق بصامت ضعيف مع معوّت من جنسه ، كالواو مع الضمة ، والياء مع الكسرة ، وكذلك الواو مع الكسرة .. وهذه الكراهة تفسر لنا من الناحية الصرفية حالات كثيرة عند ابدال الواو والياء همـــزة ، فاسم الفاعل من الفعل الاجوف الواوى او اليائى ، مثل قاول وبايع يصبح « قائل » « وبائع » ويحدث هذا فى جموع التكسير على وزن فواعل وفعائل ، فيقال فى فوايد : فوائد ، وفى عجاوز : عجائز .

« فاذا ما استعرضنـــا بعض الامثلـــة فى صرف الاسماء صادفنا نفس الضرورة ، فصيغ : فَعال وتَفْعال وتِفْعال وفُعال وفِعال وأَفْعال وفَعّال وفُعّال ، ومصادر الصيغ المشتقة : إفْعال وانفعال وافتعال واستفعال ــ فى هذه الصيغ جميعها نصادف بالضرورة اقترانا شاذا مع معوتات الاعراب ، وذلك عندما تكون هذه الصيغ معتلة بالواو او بالياء ، فنجد الواو مضمومة (و) فى حالة الرفع ، ونجدها مكسورة فى حالة الجر ، كما نجد الياء مكسورة (ي) فى حالة الجر ايضا ــ هنا تتم المخالفة بابدال الواو او الياء همزة ، ثم يشيع هذا الابدال بوساطة القياس الموحد فى صيغ اخرى ، ففى جمع التكسير مثلا بزنة (أَفْعال) من الاصل (ع د و) يقال : اعداء .. بدلا من اعداو .. فى حالة الرفع ، واعداءٍ ،، بدلا من اعداوٍ .. فى حالة الجر ، اما اعداءً .. بدلا من اعداوًا ،، فى حالة النصب ، فقد جاءت على قياس سابقتيها ، رغم انعدام الضرورة التى اوجبت قلب الواو همزة فى الحالتين السابقتين ... وهناك حالات كثيرة ايضا تباح فيها المخالفة ، مثلا فى صيغـــة : فَعُول : قَوُول او قوُول ، وفى جمع التكسير فُعُول : وُجوه او أجوه ... » (47) .

والتاء تبدل من الواو فى مثل : تراث وتجاه وتكأة ، لان الاصل : وراث ، وجاه ، وكأة ، فهنا ابدال صامت بصامت ، وتبدل الطاء من التاء بعد حروف الاطبـــاق (الصاد والضاد والطاء والظاء) نحو : اصطبر واضطر واطّلع واظّلم (اظطلم) كما تبدل التاء من الواو ثم تدغم فى مثل : اتّعظ واتّصل واتّقى ، اذ الاصل : اِوْ تعظ ، اِوْ تصل ، اِوْ تقى ، وتبدل الشاء من التاء فى مثل اثّاقل على وزن (تَفَاعَل) لان اصله : تثاقل ، كذلك الدال من التاء فى مثل : ادّارك (تَفَاعَل) اذ الاصل : تدارك .

ويمثل الاعلال بالحذف نوعا من التطور اللغوى عند العرب ، فحذف احد الحرفين الضعيفين الساكنين فى مثل : يَدْعُون وَيَرْمُون وَيَسْعَوْن (والاصل : يدعو + ون ، يرمى + ون ، يسعى + ون) امر صوتى يتعلق بجهاز النطق ، حيث يمثل الساكنان عائقا فى جهـــاز النطق حين التلفظ ، ولا بد أن يتخطـــى النفـــس ذلك العائق .

واذن فالاعلال حقيقة راهنة فى صميم اللغة ، ولا بد ان يُبْنى على اســاس من هذه الحقيقة ، وان نفسره تفسيرا علميا بعيدا عن اللف والدوران ، لاننا اذا اخذنا نحو قضايا (جمع قضية) نرى الصرفيين يقولون : ان الاصل : قَضَايِيُ قلبت الياء الاولى همزة ، على حد رسالة ورسـائل وصحيفة وصحائف وعجوز وعجائز ، فصارت : قضائِيُ ، ثم قلبت كسرة الهمزة فتحة تخفيفا فصارت : قَضَاءَيُ ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا ، فصارت : قضاءا ، ثم قلبت الهمزة ياء (رجوعا بها الى الاصل) لانهم يكرهون اجتماع شبه ثـــلاث الفـــات ، فأصبحت : قضايا . كذلك مطايا (جمع مطية) قالوا : اصلها : مطايو ، قلبت الواو ياء لتطرفها اثر كسر ، ثم قلبت الياء الاولى همزة كما فى صحيفة وصحائف ثم ابدلت الكسرة فتحة ، ثم الياء الثانية الفا ، ثم الهمزة ياء كما سبق فى قضايا ، فصار (مطايا) بعد خمسة اعمال :

مطايِوُ مطايِيُ مطائِيُ مطاءَيُ مطاءًا مطايا . وتقدير الاعلال على هذه الشاكلة فيه مبالغة واضحة الى جانب اجتماع اعلالين فى قلب الياء همزة ثم قلبها ياء . ومن الممكن أن نستغنى عن كل هذه الخطوات بأن نقول : ان قضايا اصلها : قضايِيُ ، أبدلت الكسرة فتحة لتناسب الالف قبلها ، ثم قلبت الياء الثانية الفا لتناسب الفتحة قبلها . او نقول : ان قضـايا هـــى فَعَـــالَى ..

---

(45) انظر : العربية الفصحى ص 46 ــ 47 .
(46) السابق ص 47 ــ 48 .

مثل هذا قولهم فى (تال) أصلها : (تَوَلَ) ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا · ومن الممكن أن نقول : ان الفتحة القصيرة على القاف طالت بعد سقوط الواو (لوتوعها بين مصوتين قصيرين) فصارت (تال) · كما قالوا فى (رد) ان أصلها : ردد ، فضعفت الدال بعد سقوط المصوت القصير بين الدالين ، وقد تقدم (47) ·

والحقيقة ان هذه الظواهر اللغوية المتمثلة فى الاعلال والابدال والادغام والقلب المكانى الذى يمثل ظاهرة صوتية هامة فى الدراسات الحديثة من اختصاص علماء الاصوات ، ولذا ينبغى أن يتعرضوا لها بالتحليل العلمى بعيدا عن تفسير النحاة ولفهم ودورانهم · ويؤيد هذا كلام ابن السراج فى الاصول حيث ذكر أن اعتلالات النحويين على ضربين : ضرب منها هو المؤدى الى كلام العرب كقولنا كل فاعل مرفوع ، وضرب آخر يسمى علة العلة مثل أن يقولوا : لم اذا تحركت الياء والواو وكان ما قبلهما مفتوحا قلبت الفا ، وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب » (48) ·

المـــراجـــع

أسعد على (دكتور) :

1 ــ تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلى ــ دار النعمان ــ لبنان 1968 ·

ابــن الانبــارى :

2 ــ الانصاف فى مسائل الخلاف ــ المكتبة التجارية بمصر 1961 ·

تمام حسان (دكتور) :

3 ــ اللغة العربية ، معناها ومبناها ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ 1973 ·

الثعالبــى :

4 ــ فقه اللغة وسر العربية ــ مطبعة الاستقامة ــ القاهرة ·

الجاحظ :

5 ــ البيان والتبيين ــ الطبعة الرابعة ــ مطبعة الخانجى بمصر ·

جامعة البصرة :

6 ــ مجلة كلية الآداب ــ العددان 4 ، 5 ·

ابــن جنــى :

7 ــ الخصائص ــ تحقيق محمد على النجار ــ دار الكتب المصرية 1954 ·

داود عبده (دكتور) :

8 ــ أبحاث فى اللغة العربية ــ مكتبة لبنان ــ بيروت 1973 ·

9 ــ دراسات فى علم أصوات العربية ــ مؤسسة الصباح الكويت 1979 ·

السيوطى :

10 ــ المزهر ·

ابــن الســراج :

11 ــ الاصول ــ تحقيق د· عبد الحسن الفتلى ــ بغداد 1973 ·

عبده الراجى (دكتور) :

12 ــ النحو العربى والدرس الحديث ــ دار النهضة العربية ــ بيروت 1979 ·

عبده عبد العزيز قلقيله (دكتور) :

13 ــ لغويات ــ مكتبة الانجلو المصرية ·

ابــن عصفــور :

14 ــ المقرب ــ تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى ــ مطبعة العانى ــ بغداد 1972

فخر الدين قباوة (دكتور) :

15 ــ ابن عصفور والتصريف ·

---

(47) وانظر : دراسات فى علم أصوات العربية ص 33 ، 34 ، 39 (د· داود عبده) مؤسسة الصباح ــ الكويت ·

(48) الاصول 27/1 (تحقيق د· عبد الحسن الفتلى) بغداد 1973 ·

فليش (هنرى فليش اليسوعى) :

16 العربية الفصحى ــ تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ــ المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت 1966 ·

الفيومى :

17 ــ المصباح المنير ·

ابن القوطية :

18 ــ الافعال ــ تحقيق على فودة ــ مطبعة مصر 1952

مجمع اللغة العربية :

19 ــ كتاب فى أصول اللغة ج 2 ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ·

20 ــ مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاما (1932 ــ 1962) القاهرة ·

مصطفى النحاس (دكتور) :

21 ــ دراسات فى الادوات النحوية ــ شركة الربيعان ــ الكويت 1979 ·

معهد الانماء العربى :

22 ــ الفكر العربى ــ العددان 8 ــ 9 (بيروت)·

مكتب تنسيق التعريب :

23 ــ اللسان العربى ــ المجلد الثانى عشر ــ الجزء الاول (الرباط) ·

ابن يعيش :

24 ــ شرح المفصل ــ ادارة الطباعة المنيرية بمصر ·

25 ــ شرح الملوكى ــ تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ــ المكتبة العربية بحلب 1973